الدكتور مصطفى النشار
كلية الآداب / جامعة القاهرة

من التاريخ إلى فلسفة التاريخ

قراءة في

الفكر التاريخي عند اليونان





من التاريخ إلى فلسفة التاريخ

قراءة في

الفكر التاريخي عند اليونان

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

المركز الرئيسى والمطابع : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج أمون
الدور الأول - شقة ٦ اسكان إدارى
ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

رقـــم الإيـــداع : ٩٧/٤٨٦١
التـــرقيم الدولـــى : I. S. B. N.
977-5810-15-9

الدكتور مصطفى النشار
كلية الآداب
جامعة القاهرة

من التاريخ إلى فلسفة التاريخ
قراءة في
الفكر التاريخي عند اليونان

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب



بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى كل من يشاركون في إعادة

بناء الوعي التاريخي الصحيح لشباب مصر . .

فالوعي بالتاريخ الماضي هو اساس فاعلية الحاضر

وهو ما يدفعهم إلي المشاركة الإيجابية

في صنع المستقبل الأفضل . .



تصديـــر

"التاريخ" تلك الكلمة ذات المدلولات العديدة وذات الأثر البالغ على كل من يسمعها، تكتسب تلك الأهمية من كونها قد إتخذت كإسم علم لواحد من أهم العلوم الإنسانية. وربما لم يحتد خلاف بين الكُتاب بقدر ما دار بينهم من مناقشات حول معنى "التاريخ" ومدى علميته وموضوعاته ومناهج الباحثين فيه.. الخ.

والحق أنه ينبغى التمييز بين جهات النظر المختلفة لهذه الكلمة- الإصطلاح؛ اذ ينبغى التمييز أولا بين التاريخ كأحداث وقعت فى الماضى أو تقع فى الحاضر أو يتوقع حدوثها فى المستقبل، وبين التاريخ كعلم يقصد منه ضبط هذه الأحداث وتسجيلها عبر الوثائق الأصلية والشواهد الأثرية والأدلة المختلفة التى تؤكد حدوثها على نحو ماحدثت به.

وينبغى ثانيا التمييز بين المعانى العامة أو الشائعة للتاريخ وبين المعنى الاصطلاحى العلمى له؛ فالتاريخ عند العامة رمز للزمن وللأزمان الغابرة الماضية سحرها وتأثيرها الأسر عند هؤلاء وهم يعيشون حاضرهم فى أحيان كثيرة أسرى لذلك الماضى ويستحضرونه فى كل وقت وبصور شتى منها

الأسطورى والخرافى، ومنها الحكاوى الروائية التى يمتزج فيها الاسطورى بالواقعى والمثالي بالحقيقى. وكم من روايات وحكاوى شفهية مارست دور الفعل الحقيقى للتاريخ فى عقول الناس. وكم من أبطال لتلك الحكاوى التى صورها المثال الشعبى مارست دورها فى التأثير على السامعين فينظرون إلى هؤلاء الأبطال وكأنهم عاشوا حقا ومارسوا هذه البطولات الخارقة بالفعل!! ولم يكن بعيد عن ذلك أن ينظر اليونانيون لبعض أبطالهم على أنهم ألهة أو انصاف ألهة نظرا لما ألصق بهم فى القص الشعرى الشعبى من بطولات خارقة لايستطيع القيام بها أى انسان منهم!!

أما المعنى الاصطلاحى للتاريخ فهو شيئ غير هذا وذلك. وقد تطور هذا المعنى منذ أن اشتق لأول مرة من لفظة يونانية هى Istoria حتى اتخذ مدلولا ثابتا فى العصر الحديث.

ويعود هذا الاشتقاق اللفظى لكلمة Istoria إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، حيث قصد به فى البداية" البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة"، وهو كما نلاحظ معنى عاما جدا، فالأشياء الجديرة بالمعرفة متعددة وكثيرة والبحث عنها

يمكن أن يكون بمناهج شتى وبطرق متعددة. فأى معرفة هى المقصودة هنا، وأى منهج للبحث يمكن اتباعة حتى نصل إلى تلك المعرفة المنشودة؟!

لقد انحصر المعنى العام هذا بمرور الوقت وصارت الكلمة دالة على نوع واحد من المعرفة هو معرفة الاحداث التى وقعت فى الماضى ورافقت تطور الأشياء والظواهر المختلفة . وبذلك ولد تعبير " التاريخ" بمفهومه الشائع والذى استخدمه به أوائل المؤرخين اليونان من أمثال هيرودوت وثيوكيديدس اللذين قصراها على تتبع الأحداث التاريخية التي صنعها الإنسان فى الأزمان الماضية ومحاولة تمحيص هذه الأحداث وروايتها على نحو ماوقعت به فعلا بقدر الإمكان. وبالطبع فإن رواية هذه الأحداث التاريخية المهمة قد صاحبه لديهما ولدى غيرهما من مؤرخى اليونان الكبار رواية كل المظاهر الحضارية المصاحبة لهذه الأحداث من ديانات ومعتقدات شائعة، ومن مظاهر العمارة والفنون السائدة .. الخ.

تم ذلك فى الوقت الذى بدأت فيه الكلمة تتخذ معانى أخرى اكثر اتساعا لدى بعض الفلاسفة، فقد استخدمها أرسطو

حينما كتب عن "تاريخ الحيوان" فأصبح التاريخ ليس فقط تاريخا للانسان وانما يمكن أن يكون هناك تاريخا للحيوان بأنواعه المختلفه وللنبات بأنواعه المختلفة وربما يتسع المعنى اكثر واكثر ليكون هناك تاريخا للمعادن وتاريخا لكل مادة أو لكل شئ من الأشياء الطبيعية الأخرى. وقد استخدم المصطلح أيضا لديه فى ثنايا روايته للجانب التاريخى من العلوم التى أسسها فقد روى تاريخ الفلسفة السابقة عليه كما روى تاريخ علم الطبيعة وتاريخ دارسة النفس.. الخ..

وعلى ذلك فربما فهم أرسطو "التاريخ" بمعنى القص التاريخى لكل ماسبق سواء كان يتعلق بالأحداث الإنسانية أو الحيوانية أو النباتية أو يتعلق بانجازات العلماء السابقين فى كل مجالات أبحاثهم العلمية.

وفى اطار هذين المعنيين المستخدمين عند اليونان تطور البحث التاريخى وتطور معه استخدام المصطلح Istoria، فكان يتسع أحيانا ويضيق أحيانا أخرى.

لقد أخذ الرومان تلك الكلمة بمبناها وبمعناها ـ كما يقول روزنثال فى كتابه "علم التاريخ عند المسلمين" ـ كتعبير فنى لم

تتبدل حروفه بانتقاله إلى اللغات الرومانيــة كمـا كـان يحـدث لـو كـانت هـذه الكلمـة دارجـة الإستعمـــال عنـد العامـة. غـير أن معنــاها – كما يقول روزنثال – أخذ يتدهور فى اللاتينية واتخـذ أشكالا مختلفة أخذتها اللغة الإنجليزية من الفرنسية.

وعندمـــا اسـتعادت هـــذه الكلمــــه مدلولهـــا العلمـــى وكرامتهـا – على حد تعبير روزنثال – طرأ عليها تحريف فـى الشكل فاصبحت History. Histoire, Historie، ثم ترجمـت إلـى بعض اللغات المحلية مثلما نجدها فى الألمانية Geschichte وفى العربية تاريخ. وقد اصبحـت هـذه الكلمـات بمـرور الزمـن ذات معنى جديد ، حيث صارت كلمة تاريخ History أقرب ما يكـون إلى كلمـة تطـور؛ حيـث أنهـا أصبحـت تعنـى الأن العمليـة التـى بموجبها يصل شئ خاص إلى مستوى خـاص فـى تطـوره. وقـد كان هذا الشئ الخاص بالنسبة إلى النظـــرة التقليديـــة للتـــاريخ هـو الإنســـان وبصـــورة خاصـــة الفعاليـــات والمؤسســـات السياســـية الإنسانيــة.

اما فى العصر الحالى ومنذ القرن التاسع عشر فقد صارت فكرة التاريخ فكرة عامة وأصبحت تطبق علـى كـل شـئ سـواء

كان حيا أو جامدا وأصبح التاريخ بهذا المعنى فكرة شاملة بمقدوره الادعاء كمثل الفلسفة بأن كل شئ وكل نشاط هو موضوع لبحثه وداخل ضمن نطاقه.

والطريف أن روزنثال يؤكد فى كتابه أن هذا التوسع الهائل الذى شهدته فكرة التاريخ ومعناه فى الغرب منذ القرن التاسع عشر كان معلوما لدى المسلمين اذ أن كتب المسعودى وكتاب" البدء والتاريخ" للمطهر وآراء الكافيجى فى معنى التاريخ تشير إليه.

وعلى كل حال فقد لخص هرنشو فى كتابه "علم التاريخ" معان التاريخ على ثلاثة؛(١) فقد يطلق لفظ التاريخ على "مجرى الحوادث الفعلى" وهو الإستعمال الذى يفضى إلى الحديث عن صانعى الأحداث التاريخية والرجال الذين غيروا بأعمالهم مجرى التاريخ وشئون العالم كالاسكندر الاكبر وقيصر ونابليون، وكذلك الحديث عن سلطان التاريخ بمعنى سلطة الأحداث والظروف التى أدت إلى وقوعها.

(٢) أما المعنى الثانى للفظ التاريخ لديه فهو "التدوين القصصى لمجرى شئون العالم كله أو بعضه" وهو استعمال

للمصطلح لاغبار عليه فى نظره. ولدينا تـاريخ انجلـترا وتـاريخ فرنسا وتاريخ المانيا، كما أن لدينا تواريخ الفن والعلـم والأدب، ولدينا كذلك تواريخ أى شئ أو كل شئ تطور علـى مـر الزمـن وخلف وراءه اثار تطوره. وان كـان هـذا الاسـتعمال فيمـا يـرى هرنشو مستقيم وشائع إلا أنه يفضى إلى شـئ مـن اللبـس يمكـن الالتفات إليه حينما يكون النقاش مثارا حول: هل التاريخ علم أم فن. فإن قلنا أن التاريخ قصة فهو أدخل فى هذه الحالة فـى بـاب الإنشـاء الأدبى منـه إلى بـاب التـأريخ أو إلـى بـاب الكتابـة العلميـة للتاريخ.

(٣) أما المعنى الثالث فيعود به هرنشو إلى الأصـل الـذى اشـتقت عنـه لفظـة التـاريخ، انـه" البحـث أو التعليم عـن طريـق البحـث". أو المعرفـة التـى يتوصـل إليهـا مـن طريـق البحـث". فالمعنى المسـتتر هنـا هـو الاسـتقصاء والبحـث وطلـب الحقيقـة. وبهذا المعنـى يكـون التـاريخ علمـا وإلا فهـو ليـس بشـئ على الاطلاق.

لقد ارتضـى هرنشـو اذن المعنـى الثـالث للتـاريخ بوصفـه المعنى الذى يؤكد علمية البحث التاريخى لكن على أى موضوع

ينصب هذا البحث أو بمعنى آخر ماموضوع التاريخ؟ ان موضوعه يتسع ليشمل كل مايقع من الإنسان أو يقع عليه وكل مايبنيه أو يهدمه. انه يشمل كل أحوال الإنسان ومصالحه.

وإذا كان ذلك هو معنى التاريخ كعلم وذلك هو موضوعه الدقيق. فمن هو المؤرخ؟. انه بالطبع ذلك الإنسان الذى يقوم بعملية التأريخ أى بعمليه البحث فى أحوال الانسان ورصد انجازاته ووصف كل ماتقع عليه عينه سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر أى بالاطلاع على الوثائق بصورها المختلفة.

واذا كان ذلك هو المؤرخ الذى ما ان امتثل للمنهج العلمى وارتبط بالبحث التاريخى من خلال الوثائق صار مؤرخا علميا وصار بحثه داخلا ضمن اطار علم التاريخ. فماذا عن فيلسوف التاريخ؟!

هناك رأى لبندتو كروتشه الفيلسوف الإيطالى يقول بأن كل من يحمل لقب "مؤرخ" هو فيلسوف. أراد ذلك أم لم يرد. وبالطبع فإن قصد كروتشه واضح حيث أنه يعتقد أن كل مؤرخ انما يعبر عن ذاته من خلال تأريخه فمنذ أن اختار نوع الحدث

الذى سيؤرخ له واختار المصادر التى سيعتمد عليها وبدأ فى جمع المعلومات التى يرغب فى تسجيلها.. انه فى كل ذلك انسان يختار ويعايش ويأخذ ويرفض وينتقى. بل وأحيانا يضيف رأيا أو تحليلا لما يرويه من أحداث. وهذا يعنى أنه لم يعد ذلك المؤرخ الموضوعى بالصورة المطلقة!! ومن ثم فإن كل هذه العوامل الذاتية للمؤرخ قد تجعله بصورة أو بأخرى فيلسوفا وليس مجرد مؤرخ!

والحق أن هذا التعميم الذى أطلقه كروتشه رغم وجاهته ليس صحيحا، فليس كل مؤرخ فيلسوف، وان كان يمكن أن يكون بعضهم من ذوى الرؤى الشاملة والتفسيرات الكلية للأحداث التاريخية فلاسفة.

وعلى ذلك ظهر التمييز بين المؤرخ والفيلسوف من جهة، وهو ماينطبق عليه التمييز بين الفيلسوف والعالم على وجه العموم مع الوضع فى الاعتبار خصوصية الموضوع التاريخى بين موضوعات البحث العلمى الأخرى كالظواهر الطبيعية أو ماشابه.

كما ظهر التمييز بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ من جهة أخرى . وهو تمييز يندرج تحت التمييز بين الفيلسوف والمؤرخ أو العالم على وجه العموم؛ فالفرق بين المؤرخ والفيلسوف الذى يفلسف التاريخ هو فرق في نقطة الإنطلاق التى ينطلق منها كلاهما فالفيلسوف نقطة انطلاقه العقل واعمال العقل فى تأمل الأحداث الشاملة للتاريخ سواء المحلى أو العالمى، بينما نقطة انطلاق المؤرخ هو الحدث التاريخى نفسه وتحليله وربط الأحداث الجزئية بعضها بالبعض دون تدخل ودون تأويل.

كما أن فرقا أخر يبدو بينهما اذا نظرنا إلى الهدف الذى يسعى كلاهما إلى تحقيقه، فهدف المؤرخ هو تسجيل الحدث وتحقيقة بأكبر قدرمن الموضوعية والنزاهة، بينما هدف الفيلسوف هو تفسير مجمل أحداث التاريخ واستخراج مايمكن أن نطلق عليه الأليات أو القواعد العامة التى يسير بمقتضاها التاريخ الإنسانى. وهنا نجد أن ذاتية الفيلسوف تظهر فى رؤيته لهذه المبادئ أو القواعد المفسرة للتاريخ اذ تختلف هذه المبادئ أو تلك القواعد من فيلسوف لآخر حسب رؤيته الفلسفية العامة ووفق المادة التاريخية التى يتأملها وغزارة هذه المادة.

ولاشك أن عمل المؤرخ يحتاج إلى تلك النظرة الفلسفية الشاملة اذا ما أراد أن يجنى من التاريخ الذى يسجله أية منفعة؛ فالتاريخ بدون النظرة التأملية ـ الفلسفية إليه يبدو بدون فائدة تذكر، والمؤرخ الذى يروى الأحداث دون أن يقبل تلك النظرة الفلسفية اليها سواء قام هو بها أو قام بها الفيلسوف يبدو كالحمار يحمل أثقالا فهو يروى الأحداث دون أن يخضعها للتحليل والفهم. وأى فائدة يمكن أن نجنيها من هذا الكم الهائل من الأحداث التاريخية المتراكمة لأى أمة من الأمم دون أن نستفيد منها ونعتبر بها فى توصيف ما يجرى من أحداث حاضرة وفى استشراف مايمكن أن تقود إليه من أحداث جديدة فى المستقبل !!

وكذلك الحال بالنسبة لفيلسوف التاريخ فهو ان لم يستند فى رؤيته الفلسفية للتاريخ على مادة تاريخية كافية فكأنه يملى تأملاته وقوانينه النظرية على لاشئ أو كأنه يبنى أطرا لأشياء غير موجودة !! ان ذلك الفيلسوف الذى يحاول فرض المبادئ العقلية التى يؤمن بها على التاريخ بدون أن تكون مستنبطة منه أو مستقاة من أحداثه انما يخون التاريخ بقدر ما يزيف وعى أمته بتاريخها وبتاريخ العالم !!

وبعد فمعذرة عزيزى القارئ ان أطلت عليك فى هذه المقدمة التى اردت منها أن تقف على المعنى الاشتقاقى والاصطلاحى للتاريخ، وأن تكون على بينة ببعض المصطلحات التى ستقابلها فى قرائتك لهذا الكتاب الذى بين يديك. فهو يتحدث عن التاريخ نشأته وتطوره لدى اليونان، ذلك التطور الذى انتقل، المؤرخ اليونانى فيه من التاريخ إلى فلسفة التاريخ دون أن يدرى المعنى الدقيق للاصطلاحين وخاصة الاصطلاح الثانى فهو اصطلاح حديث نسبيا.

وقد تجد فى ثنايا الكتاب بعض الصعوبات، وهى صعوبات ناتجة عن جدة الموضوع وطرافته من جهة، ومن جهة أخرى عن ضرورة أن يكون القارئ الكريم على معرفة بمذاهب الفلاسفة الذين سنتعرض لدراسة رؤاهم التاريخية فيه؛ فلا يخفى على فطنة القارئ العزيز أن النظرة الفلسفية للتاريخ لدى أى فيلسوف ترتبط وتبنى على رؤيته الفلسفية العامة، وهى مؤسسة على مذهبه الفلسفى الخاص.

وقد حاولت أن أوضح قدر الطاقة وبصورة لاتخل بجوهر موضوع الكتاب مدى هذا الارتباط بين المذهب الخاص للفيلسوف وبين رؤيته للتاريخ وتفسيره لأحداثه.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات التى قد تصادف القارئ غير المتخصص فى الفلسفة أو فى التاريخ، فإن القارئ العزيز سواء كان متخصصا أو غير متخصص سيخرج من قرائته لهذا الكتاب وقد ازداد معرفة بقضية التاريخ: نشأته وتطوره، وبقضية العلاقة بين التاريخ وفلسفته، وقبل كل ذلك وبعده سيخرج من قرائته لهذا الكتاب وقد ازداد وعيا بجذور المعرفة التاريخية فى الشرق القديم وفى بلاد اليونان، وازداد وعيا بأنه لم توجد أمة متحضره إلا وكان أحد دعائمها الراسخة المعرفة التاريخية. وبقدر وعى أبناء أى أمة بجدوى التاريخ وبقيمة التأريخ والمؤرخ وفيلسوف التاريخ ، بقدر ما يعلو شأن هذه الأمة وتزداد قدرة أبنائها على مواجهة التحديات الحضارية التى تصادفهم.

ولاشك أننا اليوم فى مصر وفى الشرق العربى والاسلامى أحوج مانكون إلى الإلتفات إلى أهمية المعرفة التاريخية كركن ركين وكأساس متين للتقدم الحضارى المنشود. أحوج مانكون إلى وعى تاريخى يزيل من على أعيننا غشاوة يحاول كل أعدائنا ؛ جاهدين أن تبقى لتحجب رؤيتنا للمستقبل.

وأسأل الله العلى القدير أن يشارك هذا الكتاب ولو بجزء ضئيل فى ازالة جانب من جوانب غياب الوعى التاريخى لدى شباب أمتنا، وان يساهم ولو بجزء ضئيل فى اعادة بناء الوعى التاريخى لديهم .

والله ولى التوفيق،

د. مصطفى النشار
مدينة نصر
فى : ١١ذو القعدة ١٤١٧هـ
الموافق: ٢٠ مارس ١٩٩٧م.

تمهيد : تساؤلات تطرح موضوع البحث واشكاليته:

ما هو التاريخ؟ ومتى بدأ! ومن الذى بدأه؛ متى أدرك الإنسان أهمية التاريخ ومنفعته؟ ومتى تشكل الوعى بمقولات التاريخ؟ ومن أول من حاول استخلاصها؟ من هو المؤرخ ومن هو فيلسوف التاريخ؟ وهل يعد التاريخ علما ككل العلوم؟ وما الفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ؟!

أسئلة كثيرة تتداعى إلى الذهن حينما يكون الموضوع متعلقا بالتاريخ أو بفلسفة التاريخ. ويكون لهذه الأسئلة أهمية مضاعفة حينما نحاول الإجابة عنها من خلال النظر فى المعطيات الفكرية للحضارات القديمة؛ اذ من المعروف أن هذه الأسئلة ومثيلتها لم تحسم الإجابة عنها الا بين مفكرى ومؤرخى العصر الحديث. وأصبحت هناك تلك الفروق الدقيقة بين التاريخ واللا تاريخ، بين التاريخ والفلسفة، وبين علم التاريخ وفلسفة التاريخ.(١)

لكن ماذا لو طرحت هذه الأسئلة على احدى الحضارات القديمة لنعرف مدى وعى أفرادها بتلك الأسئلة من ناحية،

ومضامين الإجابة عنها - اذا كانت هذه الأسئلة قد طرحت فعلا- من ناحية أخرى!

إن هذا البحث معنى بطرح هذه الأسئلة على الحضارة اليونانية لنتبين موقف أفرادها من التاريخ ومن فلسفة التاريخ. ومن ثم فهو معنى ببيان مدى العناية التى أولاها المفكرون اليونان لدراسة التاريخ ومدى وعيهم بأهميته وبمنفعته، وبيان معالم رؤيتهم الفلسفية للتاريخ.(٢)

والمعروف أن هناك اختلافا حول اليونان ودورهم فى الفكر التاريخى؛ فالبعض يرى أن الحضارة اليونانية كحضارة أسيا حضارات غير تاريخية فى الأساس، (٣) وأن الفكر الفلسفى لحضارة اليونان كان يتعارض مع التاريخ على حد تعبير آخرين.(٤)

وهناك من يرون على النقيض من ذلك "أن التاريخ أعظم ابداع خلقه اليونان".(٥) فأين الحقيقة بين هؤلاء وأولئك؟ هل كان اليونان أمة تعى التاريخ ومقولاته أم كانوا أمة غير تاريخية؟! وهل يمكن أن تكون هناك أمة سجلت تاريخها. ونعتبرها خارج التاريخ ويكون أهلها خلوا من الوعى بأهميته أو بموضوعه أو بمنفعته؟!

أولاً: نشأة الفكر التاريخي في الشرق القديم:

إن الحقيقة التى آراها واضحة أمامى هى أنه لايصح أن نصف أمة عرفنا تاريخها عبر ما سجلته الوثائق التى كتبها كاتبوها من أبناء هذه الأمة، بأنها أمة غير تاريخية أو أن أبناءها كانوا خلوا من الوعى التاريخى!

وعلى ذلك فإننى أرى أن الوعى بالتاريخ ليس مقصورا على من بدأوا استخدام لفظ تاريخ أو على من كتبوا المؤلفات التاريخية الكاملة مستخدمين فيها مناهج بعينها! فالوعى بمعنى التاريخ وبأهميته قد تشكل فى اعتقادى مع أول من سجل وثيقة يصف فيها انجازات البشر فى أى مجال من المجالات.

ولذلك فإننى أرى أن الوعى بالتاريخ وبأهمية التاريخ قد بدأ منذ فجر الحضارة المصرية القديمة وكذلك حضارات الشرق الأخرى حيث بدأ الإنسان يعى أهمية تسجيل الأحداث التاريخية الكبرى ونسبتها إلى صانعيها من الملوك والحكام. فالنقوش الأثرية على جدران المعابد لاتزال شاهدة على العناية الكبرى

التى أولاها هؤلاء الملوك لتسجيل منجزاتهم ومعاركهم الحربية التى ساهمت فى تطوير ممالكهم وفى توسيع رقعتها، كما أن أدبيات الحضارات الشرقية المختلفة تكشف عن عمق الإيمان بأهمية تسجيل ماحدث فى العصور السحيقة والآستناد على أمجاد الشعب السابقة فى امكانية النهوض من جديد وصنع الحاضر الزاهى الذى يحلم به الجميع وعلى رأسهم كتبة هذه البرديات والملاحم والأدبيات المختلفة. ومن أمثالها؛ ما كتبه ايبوور ونفرروهو فى مصر القديمة، وما تذكره ملحمة جلجامش فى العراق القديم، وكتاب التغيرات Yking فى التراث الصينى القديم فضلا عما جاء فى كتاب التاريخ لكونفشيوس .....الخ.

ان الدراسة المتعمقة لهذه الوثائق والكتابات التاريخية فى حضارات الشرق القديم يمكن أن يكشف أمامنا بما لايدع مجالا للشك أن لدى هذه الحضارات من عنى بتسجيل المنجزات الحضارية سواء اكانت أحداثا سياسية أو مواقع حربية. أو مكتشفات علمية فى مختلف العلوم أو كانت نظريات فلسفية بلورها مفكرو وهذه الحضارات.

ولكن السؤال الذى قد يتبادر إلى الأذهان هو : إلى أى حد يمكن أن نعتبر كاتب الوثيقة التاريخية مؤرخاً؟!

الحق أننى لم أجد أجابة واضحة على مثل هذا السؤال لدى المهتمين بالمعرفة التاريخية، فهم يبدأون عادة من التساؤل عن معنى التاريخ وغالبا ما تكون اجابتهم " أن التاريخ يصنع من وثائق. والوثائق هى التى خلفتها أفكار السلف وأفعالهم..... وحيث لا وثائق فلا تاريخ".(٦)

وعلى أى حال، فإنه طالما أن الوثيقة هى المبدأ الأول والأهم لوجود المؤرخ والتاريخ فإن كاتبها يعد مؤرخا، أو على الأقل فأنه يعد مِنْ مَنْ يعون أهمية التسجيل التاريخى للحدث.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الحضارات الشرقية بما حفلت به من تسجيل لأهم الأحداث التاريخية قد أوجدت مانسميه تاريخاً، وكان من بين أبنائها - وان لم يكشفوا عن أسمائهم- من ندعوهم بالمؤرخين.

ومع ذلك فإن الطابع العام للإهتمام الشرقى بالتاريخ لم يتجاوز التسجيل التاريخى للأحداث إلى السؤال عن مغزى هذا التسجيل أى أنهم لم يتطرقوا إلى السؤال عن اللماذا! أو حتى

عن الكيف! بمعنى أنهم لم يهتموا بالتساؤل عن لماذا يسجلون هذه الأحداث أو عن الكيفية التى يسجلونها بها! كما أنهم لم يهتموا كثيرا بمحاولة تفسير هذه الأحداث التاريخية التى حدثت ولم يحاولوا تقديم أى أسباب لحدوثها على هذا النحو أو ذاك!!

وعلى الرغم من أن ذلك كان طابعا عاما للفكر التاريخى فى الحضارات الشرقية القديمة إلا أنه قد وجدت بعض الاستثناءات الجديرة بالإعتبار والتأمل، وعلى سبيل المثال تلك الوثيقة التى كتبها ايبوور والتى أطلق عليها برستيد "تحذيرات ايبوور" والتى يعود تاريخها إلى حوالى عام ٢٠٠٠ق.م تقدم وصفا دقيقا للحالة التاريخية الراهنة التى عاصرها والتى شهدت أحداثا سياسة واقتصادية واجتماعية قلقة عبر عنها بوضوح محاولا تقديم التعليل المناسب لهذه الأحداث من وجهة نظره.(٧)

ويمكن أن نشير أيضا إلى ماكتبه كونفوشيوس المفكر الصينى الكبير فى القرن السادس قبل الميلاد عن التاريخ وأهميته فى حياة الشعب والحكام على حد سواء؛ فتاريخ الأمة فى نظره ليس إلا حلقات يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا. وقد بلغ عمق الوعى التاريخى لديه حدا جعله يعتبر دراسة

التاريخ والميل إلى الاستفادة منه أحد ثلاثة شروط رئيسية للحكم الصالح. ومن ثم لابد من توافرها فى الحاكم الممتاز.(٨)

واللافت للانتباه هنا أن الفكر الصينى لم يتوقف مفكروه عند ادراك أهمية التاريخ باعتباره أحد العلوم الكلاسيكية الرئيسية الست(٩) التى تتشكل من خلالها ثقافة الشعب وتصقل عقلية حكامه وتعمق رؤيتهم للواقع، بل تعدى ذلك إلى تقديم العديد من المواقف والاتجاهات التى تعد فى نظر ويدجرى "تعبيرا نظريا ودفاعا عن فلسفات معينة للتاريخ ".(١٠)

ويكفى أن نشير هنا إلى أن الفلسفة الصينية للتاريخ عموما تدور حول موقفين؛ موقف الفلسفة الكونفوشية التى تبنى رؤيتها للتاريخ على فلسفة إيجابية تبشر بضرورة العمل المستند على العلم والأخلاق القويمة وذلك انطلاقا من فهم كونفوشيوس وأتباعه للطبيعة الإنسانية Jen ذلك الفهم الواعى الداعى إلى ضرورة النجاح والتقدم الفردى والجماعى.(١١)

أما الموقف الثاني فهو موقف الفلسفة الطاوية الذى جاء على النقيض من سابقه، ويلخصه مصطلحهم الشهير"Tao" الذى يعنى حرفيا"لاشئ". فأتباع الطاوية ينظرون إلى التاريخ الإنسانى نظرة سكونية تعتمد على الاستسلام والسلبية وعدم الفعل؛ اذ أن التقدم العلمى والتقنى فى نظرهم يقود الناس إلى الشر والفساد الأخلاقى. وعلى ذلك فهم يؤمنون بأن العيش على مانجده فى الطبيعة هو الافضل ويعارضون أى محاولة انسانية لتغيير ما هو قائم أى أنهم يعارضون بذل أى جهد للتقدم فى التاريخ،(١٢) مفضلين على ذلك التكيف والعيش على كل ماهو طبيعى.

ولنكتفى بهذين المثالين من حضارات الشرق القديم للدلالة على وجود الوعى التاريخى لدى أبناء هذه الحضارات، وعلى وجود نظرة فلسفية حكمت رؤيتهم للتاريخ بشكل أو بآخر. ولاشك لدينا فى أن لدى الهنود والفرس والبابليون مثل ما للمصريين والصينيين من وعى بأهمية التاريخ ورؤى خاصة للفعل الإنسانى فى التاريخ.

ولنركز الآن على دراسة رؤية اليونان للتاريخ، وهل نجحوا فى ادراك ماغاب عن أبناء الحضارات الشرقية ادراكه؟ هل أدرك اليونانيون معنى التاريخ وهل جددوا فى النظرة الإنسانية إلى التاريخ؟ وبعبارة أخرى هل نجحوا فى بلورة رؤية متكاملة حول التاريخ كما نجحوا فى وضع أسس الفلسفة الطبيعية وتطوير مبادئ العلوم المختلفة؟!

ثانياً: هوميروس وبداية الوعي التاريخي عند اليونان:

يعتبر هوميروس فى اعتقادى أول من وعى أهمية التاريخ فى الفكر اليونانى؛ فقد رصد فى ملحمته الشهيرة "الإلياذة" الأحداث الأخيرة للحرب الطروادية، تلك الحرب التى نشبت حول مدينة اليون نحو سنة ١٢٠٠أو١١٠٠ قبل الميلاد. والمعروف أن هذه الحرب قد استمرت حوالى عشر سنين، والياذة هوميروس تكتفى برواية قصة أيام قليلة من عامها الأخير.(١٣)

وعلى الرغم من أنه أصبح من المؤكد أن هوميروس قد روى هذه الأحداث التاريخية اعتمادا على الروايات الشفهية التى سمعها، واعتمد فى وصفه لمظاهر الحياة اليونانية فى ذلك

العصر على الأثار التى شاهدها فى ربوع اليونان، وذلك لأنه من المعروف الأن استنادا على روايات المؤرخين الثقات أمثال هيرودوت وثيوكيديدس التى أكدتها الأدلة اللغوية والأثرية أنه عاش حوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وليس فى زمن الحرب التى روى جانبا منها.(١٤)

أقول على الرغم من ذلك، فإن الإلياذة تكاد تكون المصدر الوحيد الذى يستند عليه المؤرخون لمعرفة بعض أسرار هذه الحرب والكثير من المظاهر الحضارية لبلاد اليونان فى ذلك العصر. ومن ثم فقد بدأ الفكر التاريخي عند اليونان بالفعل وقت أن تشكلت الأصول الأولى لأشعار هوميروس على حد تعبير توينبى.(١٥)

ورغم أننا لا نستطيع أن ننظر إلى الإلياذة والأوديسة نظرتنا إلى كتب التاريخ التى تروى الأحداث رواية علمية مدققة، ولا إلى هوميروس نظرتنا إلى المؤرخ المحترف، الإ أنه بهاتين الملحمتين قد وضع الإنسان اليونانى أمام جزء من تاريخه القديم ليتأمله ويأخذ منه العبرة والمثل. وهذا يعنى أن هوميروس قد أدرك أهمية التاريخ ومنفعته فى ذات الوقت. وقد

عبر أحد الشعراء الرومان عن ذلك حينما قال "ان الإلياذة بتقديمها الأمثال عن عظماء وهم يعملون، تعلم ما هو شريف وماهو شائن، وما هو لائق وما هو غير لائق أفضل مما يعلم كل الفلاسفة النظريين".(١٦)

لقد روى هوميروس الأحداث التاريخية ليس من منظور أسطورى بحت كما كان يحلو للكثيرين من قبله روايتها. وانما رواها من منظور انسانى لدرجة أنه خلع على الآلهة نفسها صفات البشر، ولم يحلق فى دنيا الخيال بقدر ماحاول أن يعيش مع الناس محاولا تصوير حياتهم والجدل الدائر بينهم وبين الطبيعة من ناحية، وبينهم وبين آلهتهم من ناحية أخرى؛ فهو لم ينس أبدا الرجل العادى ولم يهمله حتى وهو يروى المعارك الدامية التى يخوضها الآلهة مع الأبطال.(١٧)

ان هوميروس بشاعريته يشارك الرجل العادى عواطفه ويرثى لضعفه ويثور معه ضد القوى الجبارة؛ فهو "يبكى فرحا مع أطفال شفى أبوهم من مرض عضال"،(١٨) ويتهلل بشرا عندما يعانق الوالد ولده بعد غياب طويل، (١٩) ويشارك الفلاح

سروره عندما يرى أغصان الزيتون مزهرة،(٢٠) ويبارك البحار الذى نجا بعد تحطم زورقه،(٢١) ويتألم لجوع العامل الذى يكد طوال النهار،(٢٢) ويرثى لحال المرأة التى تكافح لتكسب قوتها،(٢٣) ويحزن لحزن الزوجة التى فقدت رجلها فى المعارك،(٢٤) ومع الشيخ الذى مات أبناؤه فى ساحة المعركة.(٢٥)

ان محاولة هوميروس أنسنة التاريخ الأسطورى لليونان فى "الإلياذة" و"الأوديسا" تتجلى فى تلك المعانى الخلقية السامية التى ضمنها أشعاره حتى يبرز المنفعة الحقيقية لرواية الأحداث الماضية؛ فهو يبرز الحب الخالص والوفاء العظيم اللذين كانا يسودان جو الأسرة اليونانية فى ذلك الزمان ويبدو ذلك فى حب اندرماخا لهكتور وحب بنيلوبا لأوديسيوس، وحب برياموس لزوجته وأبنائه، كما يبرز مكانة المرأة فى المجتمع وضرورة أن تتمتع بالحرية لأهمية الدور الذى تقوم به.(٢٦) كما استنكر العبودية واعتبرها أبشع مصيبة تحل بالأنسان "لأنها تفقده نصف رجولته".(٢٧)

لقد نجح هوميروس إلى حد ما في أنسنة التاريخ اليوناني ، وفي جعل الأحداث التاريخية السابقة حية في أذهان معاصرية بعبقريته الشعرية أولا، وبقدرته الفائقة على ربط الماضي بالحاضر وتمجيد الأسلاف من الأبطال السابقين وجعلهم مثلا أعلى يحتذيه الناس في كل زمان ومكان.(٢٨)

ان هوميروس قد أدرك اذن أهمية التاريخ ومنفعته، ومع ذلك فنحن لانعده مؤرخا أو فيلسوفا للتاريخ، بل كان في المقام الأول شاعرا عبقريا ينطق ككل الشعراء الممتازين "عن موهبة قدسية تأتيهم من لدن الآلهة" على حد تعبير أفلاطون.(٢٩)

ثالثاً: هيرودوت وثيوكيديدس وتأسيس علم التاريخ:

يرى البعض أن أول من نعرف من مؤرخي اليونان هو هكتايوس الملطي Hecataeus of miletus الذي ولد حوالي عام ٥٤٦ ق.م في ملطية فقد كتب عن أصل الشعب اليوناني كما كتب عن مصر بعد أن زارها ضمن جولاته العديدة.(٣٠) ولكنه كان - على حد تعبير

هرنشو- كثير الخطأ وان كان من ذوى الروح السليم والعقلية العلمية.(٣١)

ولكن الحقيقة أن البداية الفعلية لأهتمام اليونانيين المباشر بالتاريخ ترجع إلى كتابات هيرودوت الذى عاش فيما بين عام ٤٨٤و٤٢٦ق.م (٣٢)

فإذا كان التاريخ على حد تعبير Carr عملية تفاعلية أو عملية حوار بين الأحداث التاريخية الحاضرة وبين الأحداث أو الوقائع التى حدثت فى الماضى.(٣٣) واذا كانت علمية التاريخ تقاس بأنه " مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث فى نوع معين من الوقائع هى تلك التى تتصل بالأحياء من الناس فى مجتمع ما خلال توالى الأزمنة فى الماضى".(٣٤)

اذا كان ذلك كذلك فإن هيرودوت يعد بحق أول من حقق الشروط العلمية فى تأريخه، فقد استخدم لفظ Historia اليونانى الذى يعنى بحث أو استقصاء للدلالة على هذا العلم. ومن ثم فهو يعد بحق أبو التاريخ كما أجمع على ذلك معظم العلماء والمؤرخين.(٣٥)

وقد حدد هيرودوت هدفه من التاريخ فقال فى مقدمة كتابه"أنه يأمل أن يحقق من تأريخه هدفين؛ أولهما حفظ ذاكرة الماضى بتسجيل الإنجازات المدهشة سواء التى قام بها اليونان أو التى قامت بها الأمم الأسيوية الشرقية. وثانيهما أن نرى على وجه الخصوص كيف تم الصدام بين هاتين السلالتين".(٣٦)

لقد أرخ للحروب اليونانية الفارسية محاولا الوصول إلى أسباب الصراع العنيف بين اليونان والفرس، وقاده ذلك إلى التأريخ لنشأة الإمبراطورية الفارسية وكتابة تاريخ ليديا وغزو الفرس لمصر، وقاده ذلك أيضا إلى السفر إلى مصر ليصف مصر وعادات أهلها.

وليس أدل على علمية هيرودوت من محاولته الوصول إلى المصادر الأصلية لبعض القصص والروايات التاريخية التى سمع بها فى بلاد اليونان؛ فقد بذل جهدا فى الوصول إلى أصل "هرقل" والتحرى عن الفرق بين هرقل أحد الآلهة الإثنى عشر التى نشأت عن الثامون الإلهى قبل حكم امازيس (أحمس) بسبعة عشر ألف عام وبين هرقل اليونانى. وللوصول إلى الحقيقة

اضطر إلى السفر إلى صور فى فينيقيا ثم إلى ثاسوس لأنه علم أن بهما معابد لعبادة هرقل.(٣٧)

وقد فعل نفس الشئ فى التحرى عن صحة الرواية الهوميرية التى وردت فى الإلياذة حول سبى باريس Paris ابن ملك اليون لهيلانا Helen زوجة ملك الآخائيين، تلك الحادثة التى كانت السبب فى نشوب الحرب الطروادية. فقد اكتشف هيرودوت ان رواية هوميروس ليست الرواية الوحيدة حيث وجد أن هناك رواية مصرية لهذه القصة. والطريف أن هيرودوت يقول بأن هوميروس ربما عرف هذه الرواية المصرية ولكنه أهملها " لأنها غير مناسبة لشعر الملاحم مثل الرواية التى قدمها".(٣٨)

ويقدم هيرودوت الرواية المصرية للقصة فى تأريخه،(٣٩) وأهم ما فى تلك الروية من اختلاف عن رواية هوميروس أن هيلانا بقت فى مصر ولم تغادرها مع خاطفها لأن الملك قرر أن يحتفظ بها فى مصر حتى يسلمها إلى أهلها.(٤٠) وقد وافق هيرودوت على الرواية المصرية للحادثة وأكدها مستندا على أدلة عقلية جديرة بالإعتبار ساقها فى كتابه.(٤١)

ان الوعى التاريخى عند هيرودوت بلغ حدا ارتبط فيه التاريخ بالجغرافيا ودراسة الأجناس البشرية من ناحية، كما ارتبط بإيمانه بنوع من الفلسفة الإنسانية من ناحية أخرى؛ فمن الناحية الأولى لم يكن التاريخ عنده مجرد أحداث تروى ويتحرى المؤرخ عن مدى صحتها عن طريق البحث عن مصادرها ووثائقها وانما كان عادة مايدعم روايته للحدث التاريخى بالوصف الجغرافي سواء للأرض التى يقع عليها الحدث أو للبشر الذين صنعوا هذه الأحداث. وقد صدق سارتون حينما وصف كتاب هيرودوت من هذه الزاوية بقوله أنه ليس" أول مصنف فى التاريخ فحسب، بل هو أيضا أول مصنف فى الجغرافيا البشرية" (٤٢)

ومن الناحية الأخرى، كتب هيرودوت مصنفه التاريخى متأثرا بلا شك بنشأته الأيونية حيث كتبه بلهجة أيونية واضحة، (٤٣) كما تأثر فيه بالفلسفة العلمية-الطبيعية التى كانت قد بدأت فى الظهور فى ملطية وبعض المدن الأيونية الأخرى قبل مولده بحوالى قرن من

الزمان؛ اذ لا نستطيع بحال أن نغفل ما للفلاسفة الأيونيين الأوائل من أثر على نزعته العلمية فى سرد الأحداث التاريخية، تلك النزعة التى بدت فى محاولته اخضاع الأساطير التاريخية التى تناقلها اليونانيون شفاهة أو تلك التى وردت فى الاشعار اليونانية لهوميروس وهزيود وغيرهما للتمحيص التاريخى على هذا النحو الوضعى الذى أوردنا أمثلة عليه فيما سبق.

ولعل هذه النزعة العلمية التى اكتسبها من تأثره بفلاسفة أيونيا هى التى أثمرت أيضا عقليته البعيدة عن التعصب لجنسه اليونانى، كما قادته إلى موضوعية التأريخ، تلك الموضوعية التى جعلته يؤكد باستمرار على الأصول المصرية والفارسية للفلسفة اليونانية وللعقائد الدينية اليونانية.

ان هذه الموضوعية التاريخية تكاملت عند هيرودوت مع فلسفته التاريخية التى استندت على ايمانه بتغير الحظ الذى يبدو فى عرضه التاريخى للأحداث وكأنها أقدار إلهية يؤدى كل فرد أو كل شعب فيها حسب قدرته وقدره فى نفس الوقت؛ فكتابه يبدأ من تاريخ كروسوس وينتهى بتاريخ كسرسيس وتتتابع الأحداث

حيث نحس فى كل لحظة بذلك الانتقام الإلهى الذى لايرحم والذى يطهر النفوس من كبريائها وغرورها، كما نحس بوجود فكرة العناية الإلهية معبرا عنها كما وردت عند سوفوكليس ويوريبيدس.(٤٤)

وقد تجلت قدرة هيرودوت التأريخية فى أمرين هامين تميز بهما عن سابقيه من الشرقيين أو من اليونانيين على حد سواء أولهم؛ أنه ينتقل في تأريخه عادة من الوصف إلى التعليل والبحث عن سبب الحدث التاريخى. (٤٥) وثانيهما أنه لم يجعل التاريخ- كما يحدث عادة لدى بعض المؤرخين- مقصورا على رواية الاحداث السياسية الكبرى التى يقودها الحكام أو المعارك الكبرى التى يخوضها العسكريون، بل تجاوز هذه الوقائع السياسية والحربية ليبرز لنا -على حد تعبير د. أحمد صبحى- الجانب الحضارى من التاريخ،(٤٦) ذلك الجانب الذى يكشف فيه المؤرخ بحسه الإجتماعى والتاريخى الواعى عادات الشعوب التى يؤرخ لها واتجاهاتها الفكرية والدينية وطبيعة المساكن التى يقطنونها واللغات التى يتحدثون بها وأنواع الطعام التى يفضلونها.... الخ . لقد فعل ذلك هيرودوت بطريقة جعلت

البعض يعتبره "أبا لعلم خصائص الشعوب أو الأثنولوجيا Ethnology"(٤٧).

ولاشك أن هذه الطريقة في التأريخ انما تكشف عن الحس الحضارى للمؤرخ، كما توضح أنه يدرك أن التاريخ هو تاريخ الشعوب وانجازاتها فى مختلف المجالات وليس فقط تاريخا لأنجازات الزعماء السياسيين أو القادة العسكريين.

وقد تطور الوعى التاريخى اليونانى كثيراً على يد ثانى المؤرخين اليونان ثيوكيديدس Thucydides الذى عاش كهيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد ولكن فيما بين عامى ٤٧١و٤٠١،(٤٨) أو بين عامى ٤٦٠و٣٩٥ فى رواية أخرى، (٤٩) أو بين عامى ٤٥٥و٣٩٩ فى رواية ثالثة.(٥٠) وعلى الرغم من أن ثيوكيديدس لم يذكر هيرودوت بالأسم مطلقا، إلا أنه يوجد فيما كتب اشارات كافية تدل على أنه قد اطلع على سلفه بعناية.(٥١)

ولقد نجح ثيوكيديس فى الفترة التى فصلت بينهما وهى حوالى عشرين عاما فى تأكيد علمية التاريخ حينما اختار موضوعا محددا لتأريخه وهو الحرب البلوبونيزية

التى دارت رحاها بين مدينتى أثينا واسبرطه فيما بين عامى ٤٣١و٤٠٤ قبل الميلاد، وامتدت لتشمل كل المدن اليونانية تقريبا. وقد اختار أن يؤرخ لهذه الحرب لأنه اعتبرها " ستصبح أعظم الحروب وأكثرها استحقاقا للكتابة عنها من كل الحروب السابقة.وبنى اعتقاده ذلك على حقيقة مؤداها أن كلا الجانبين قد استعد لها بكل ما استطاع من قوة. وأن بقية العالم الهلليني قد وقف متضامنا مع أحد الطرفين"(٥٢)

اذن لقد حدد ثيوكيديدس الحدث التاريخي الكبير الذى سيؤرخ له كما حدد بوضوح الأسباب التى دعته إلى تسجيل وقائعه. أما أسلوبه فى التسجيل فكان أكثر علمية وموضوعية من أسلوب سلفه هيرودوت؛ فقد كتب تأريخه بصورة أشبه ماتكون بالكتابات الأبقراطية الطبية؛ اذ خلى كتابه من أى تمجيد للآلهة أو للمعجّزات أو للأمنيات أو ماشابه ذلك.(٥٣) وقد استبعد نفسه تماما من رواية الأحداث كما عنى بتحقيق الأحداث التى رواها تحقيقا علميا، وكان أكثر تركيزا فى روايتها ولم تأخذه دوامة الاستطرادات والتفصيلات التى رأى أنه لاداعى لها

وأن أدى بـه ذلـك التركيز إلـى قصـره التـاريخ علـى تسـجيل الأحـداث السياسـية والعسـكرية. وقـد شـهد الجميـع بحيدتـه وموضوعيته لأنه لم ينحاز لأثينا ولا لزعيمها بريكليس رغم أنه كان أثينيا مخلصا لبريكليس؛ فقد كان فى تأريخه متأثرا بالتعـاليم السوفسطائية التى تربى عليها، كان مستعدا دائما لسماع وجهات نظر كل الأطراف بأمانة ليعبر عنهـا وينقلهـا ويشـرحها نـاظرا إلى الموضوع من زواياه المختلفة تبعا لوجهات النظـر المتباينـة حوله دون أن ينتصر لوجهة نظر معينة.(٥٤)

لقد كـانت غايتـه اذن أ ن يكـون صـادقـا أمينـا فـى نقـل الوقـائع كمـا حدثـت والتعبـير عـن وجهـات النظـر المتباينـة حـول الأحـداث. وهـذه بلاشـك مـن مـآثر المؤرخيـن الموضوعييـن ومـن أبـرز سـمات التـأريخ فـى العصـر الحديـث المتـأثر بالفلسـفة الوضعيـة والفكـر العلمـى الحديـث. لقد بلـغ ثيوكيديدس فـى موضوعيتـه درجـة لانسـتطيع معهـا أن نعرف من هو وما هو بالنسبة لما يرويـه مـن أحـداث، اذ لايمكن ان نستنتج من روايتـه للأحـداث هـل كـان أثينيـا أم كـان اسـبرطيا؟!(٥٥)

وهذه بلاشك درجة من الموضوعية والتجرد لايكاد يبلغها إلا القليل النادر من المؤرخين فى أى عصر.

أما المصادر التى استند عليها ثيوكيديدس فى تأريخه فكانت أولاً؛ معايشته الخاصة للأحداث التى عاصرها. وثانياً؛ المعلومات التى استمدها من الرواة. وثالثا؛ بعض الوثائق التى حصل عليها، فقد اعتمد مثلا على نصوص معاهدة انيكياس وعلى نصوص الحلف بين الأثينيين وحلفائهم.(٥٦) ورابعا؛ الشواهد الأثرية مثل اعتماده على الشواهد الاثرية فى بحثه عن أصول اليونانيين لدرجة دعت البعض أن يدعوه "ابا لعلم الأثار".(٥٧)

وقد كان ثيوكيديدس واعيا بهذه المسائل المنهجية التى استند عليها واستخدمها فى تأريخه. وها هو يعبر عن بعضها حينما يقول "أنه قد أستخدم فى تأريخه بعض الخطب التى ألقيت قبل وأثناء الحرب، وأنه وجد صعوبة فى تذكر الكلمات التى استخدمت فيها وكذلك وجد الرواة الذين اعتمد عليهم فيما لم يسمعه بنفسه نفس الصعوبة التى واجهها. ولذلك فقد اتبع منهجا يتلخص فى صياغة هذه الخطب بطريقة أكثر ما يمكن أن تكون

مطابقة للكلمات التى استخدمت فى الخطبة بالفعل، وذلك ليجعل المتحدثين يقولون مايمكن أن نسميه القول الملائم لكل موقف. أما فيما يختص بتسجيل الأحداث الفعلية فى الحرب، فإننى لم اكن أكتفى بتصورى الخاص لرواية الأحداث أو بما أسمعه من روايات يرويها لى الأخرون من شهود العيان، بل كنت أعمد إلى اختبار كل ذلك بأكبر قدر من الدقة الممكنة ولم تكن الحقيقة تكتشف بسهولة؛ فكل حدث كان يروى بروايات متعددة تختلف باختلاف الذين شاهدوها من جانب، وباختلاف قدرتهم على التذكر من جانب آخر"(٥٨).

لقد كان ثيوكيديدس يعلم تماما - كما عبر عن ذلك فى كتابه- أنه يقدم لقرائه تأريخا جافا خاليا من المتعة والتسلية التى ربما كانوا يجدونها فى الكتابات التاريخية الأخري، لكنه كان يؤمن بأنه قد كتب عمله هذا "ليبقى إلى الأبد" (٥٩) على حد تعبيره. فالتاريخ فى نظره اذن لايكتب للتسلية أو لمجرد الحكي وسرد القصص الممتعة وانما يكتب لتنتفع به كل الأجيال التالية ومن ثم فإن على المؤرخ أن ينقل لهم حقيقة الأحداث التى وقعت بكل دقة وأمانة.

رابعاً: طبيعة التاريخ وطرق الكتابة التاريخية:

ولعلنا نتساءل الآن بشكل عام عند الكيفية التى تطور بها البحث التاريخى عند اليونان وعن رؤيتهم العامة لماهية التاريخ وطبيعته؟!

بداية يمكننا أن نسوق كإجابة على هذا التساؤل ملاحظتين هامتين؛ اولهما: أن النظرة اليونانية للتاريخ قد تطورت كما اتضح لنا فيما سبق من التناول شبه الأسطورى للتاريخ كما يبدو فى أشعار هوميروس وأن كان قد حاول قدر استطاعته أنسنة التاريخ والنظر إلى الماضى على أنه ملئ بالعبر والمبادئ التى يمكن الاستفادة منها فى الحاضر، تطورت من ذلك التناول المتأرجح بين الطابع الأسطورى والطابع الإنسانى، إلى التناول العلمى له على يد هيرودوت وثيوكيديدس؛ فإذا كان هوميروس قد وعى ضرورة التأريخ لأحداث بعينها فقد جاء تناوله لهذه الأحداث يخلط بين ما هو إنسانى وما هو إلهى، فلم يكن التاريخ عنده صناعة انسانية خالصة، بل تدخلت، الألهة بقدراتها غير المحدودة وبما تملكه من قوة نافذة فى صنع الأحداث التاريخية، فكأن التاريخ الإنسانى عنده لعبة فى يد القدر Moira يوجهه

كيفما شاء عن طريق تدخل الآلهة فى مجرى الأحداث وتغييرها وتوجيهها لتحقق العدالة الإلهية المنشودة!

أقول اذا كان ذلك هو شأن التاريخ عند هوميروس وخلفه هزيود، فإن الأمر قد اختلف فى كتابات هيرودوت حيث أصبح التاريخ علما يحاول المؤرخ فيه الكشف عن طبيعة الحدث وأسبابه بطريقة استقرائية. لقد أصبح التاريخ"محاولة للإجابة عن أسئلة تتعلق بأمور يعتقد الإنسان أنه يجهلها"(٦٠)، لم يعد التاريخ اذن هو "التاريخ الدينى بل تاريخ انسانى واصبحت المشاكل التى يتصدى لعلاجها ليست من قبيل الإلهيات وانما هى من قبيل أعمال الإنسان ونشاطه".(٦١)

وبالطبع فإن ذلك التطور لم يحدث بشكل مفاجئ أو مطلق، بل تم بتأثير ظهور البحث الفلسفى الذى اتسم منذ البداية بطابع حسى تجريبى. واذا كان البحث الفلسفى رغم طابعه الحسى التجريبى لم يخلو فى نشأته أو فى تطوره من وجود بعض الغموض والاساطير، فكذلك كان الشأن فى البحث التاريخى حتى لدى مؤرخى القرن الخامس. إن أعمالهم - فيما يرى كورنفورد - لم تخلو من وجود بعض الأساطير

والخرافات؛ فرغم العقليه العلمية الجبارة التى تمتع بها ثيوكيديدس إلا أن عمله لم يخلو من وجود رواسب التفكير الخرافي أما هيرودوت فقد كان لديه الكثير من هذه الرواسب الخرافية. (٦٢) وثانيهما: أنه لوطبقنا الخواص الأساسية الأربعة التى حددها كولنجوود للتاريخ وهى أنه(١) دراسة علمية تختلف عن كتابة الأساطير حيث تبدأ الدراسة العلمية بوضع أسئلة يحاول المؤرخ أن يجيب عنها. (٢) دراسة تختص بأعمال الإنسان التى تمت فى أوقات محددة سواء تمت فى الماضى أو فى الحاضر.(٣) يخضع المؤرخ فىدراسته للعقل أى يجيب عن الأسئلة التى طرحها مستندا إلى الوثائق التاريخية المتاحة وليس إلى خرافات أو أساطير مجهولة المصدر.(٤) أنه دارسة تكشف عن حقيقة الإنسان أمام الإنسان باعتبار أن التاريخ هو سرد للأعمال التى قام بها الإنسان. ومن ثم فإن تأمل هذه الأحداث يكشف عن طبيعة الإنسان الذى صنعها.(٦٣)

أقول أنه لوطبقنا هذه المعايير على انتاج كل من هيرودوت وثيوكيديدس لوجدناها فى مجملها موجودة لديهما.(٦٤) وان كان كولنجوود يرى أن ماتحقق منها لدى

هيرودوت هو فقط ثلاث خواص هي الأولى والثانية والرابعة،(٦٥) بينما تحققت كلها عند ثيوكيديدس(٦٦) فإنه يعود فيقول ان هيرودوت قد صرح بأن البحث التاريخي يقوم على المصادر التاريخية وفي ضوء الوثائق المتاحة!(٦٧)

وعلى أي حال فإن التاريخ كعلم موضوعه تسجيل الأحداث الماضية التي صنعها الإنسان بهدف تخليدها وجعلها حية في أذهان الناس يستعيدونها في أي وقت يشاءون، ويستفيدون من دروسها وعبرها في أي لحظة يريدون قد نشأ على يد هيرودوت وثيوكيديدس وان تفاوتت قدراتهما العقلية والمنهجية. ولاشك أن انتاجهما التاريخي بما امتاز به من وضوح واتقان بلغا مبلغ الكمال - على حد تعبير كولنجوود ذاته - كان السبب في بعث فكرة جديدة حية عن القرن الخامس في عقول الأجيال المتعاقبة.(٦٨) كما كان السبب في تنامي الوعي التاريخي لدى اليونانيين وتنامي اهتمامهم بالنظر في الماضي والاستمتاع بتأمل أحداثه كشئ ثمين في ذاته فضلا عن الرغبة الصادقة التي تولدت لديهم وكثيرا ماراودتهم في استعادة هذا الماضي التليد رغم ما كانوا يصنعونه من مظاهر التقدم المذهل في معظم مجالات الحياة في ذلك الوقت.

ان هذا الوعى التاريخى قد جعل من التاريخ لونا من ألوان الأدب الإنسانى الراقى المحببة للنفس فى بلاد اليونان مما شجع على وجود الإهتمام الدائم بالتاريخ والتأريخ وان اختلفت لدى المؤرخين بعد ذلك مناحى التأريخ وصوره؛ فقد استمر التأريخ بنوعيه الأصلى والنظرى(٦٩) لدى العديد من المؤرخين بدءا من اكسينوفون Xenophon الذى عاش فيما بين عامى ٤٢٦و٣٥٦ قبل الميلاد واهتم بالتأريخ للحياة الإجتماعية والفكرية لليونان.(٧٠) كما قدم أفلاطون نوعا من التأريخ للحياة الفلسفية الزاخرة فى أثينا فى محاوراته المختلفة رغم أن الكثير من الإشارات التاريخية التى وردت فى محاوراته لم تكن صحيحة حيث ان بعض المقابلات والمناقشات التى افترضها تدور بين الفلاسفة لم تتم على أرض الواقع لأن بعض هؤلاء الفلاسفة عاشوا فى أزمنة متباعدة ولم يكن ممكنا أن يلتقوا وجها لوجه! ومع ذلك فإن قارئ هذه المحاورات الأفلاطونية يشعر بزخم الحياة الفكرية وتنوع اتجاهاتها فى أثينا وفى بلاد اليونان عامة على مدار قرنين من الزمان على الأقل.

وربما كان أرسطو اكثر دقة فى تأريخه حيث عمد بالفعل إلى التأريخ لنشأة وتطور الفلسفة فى كتابه الشهير "الميتافيزيقا"(٧١). وكذلك فعل حينما أرخ لنشأة العلوم المختلفة فى مؤلفاته العلمية العديدة حينما ذكر آراء السابقين فى كل موضوع علمى يكتب فيه سواء فى العلوم الإنسانية كعلم النفس والأخلاق والسياسة أو فى العلوم الطبيعية كعلم الطبيعة وعلوم الحياة. (٧٢)

اذن لقد امتد الوعى بالتاريخ وبأهمية التأريخ للإنجازات وللأحداث الإنسانية من المؤرخين الخلص إلى الفلاسفة وخاصة أفلاطون وأرسطو اللذين أرخا عامدين أو عن غير عمد إلى الفلسفة والعلوم المختلفة لدى من سبقهما من اليونانيين.

ان شغف فلاسفة اليونان بالوصول إلى الحقائق الثابتة أو إلى ذلك المثل الأعلى للمعرفة الذى لايخضع للتغير قد قلل من اهتمامهم الجدى بالتاريخ على اعتبار أنه يركز على رواية الأحداث المتغيرة فى جريانها المتصل لدرجة جعلت أرسطو يحط من قدره ويقرر" أن الشعر أقرب إلى العلم منه"(٧٣)

أقول أن شغفهم بالوصول إلى تلك الحقائق الثابته لم يمنعهم من الاعتراف بقيمة التاريخ باعتباره أحد جوانب المعرفة العلمية - العملية التي تقوم على الظن الصادق الذي يأتينا عبر الإدراكات الحسية لكل ما هو قائم في هذا العالم الخارجي المحسوس وهذا كان رأي أفلاطون.(٧٤) أما أرسطو فقد اعترف صراحة بأهمية كل ما يأتينا عن طريق الحواس وبأهمية الملاحظات الحسية- الاستقرائية التي هي الأساس لكل معرفة عقلية.(٧٥) وعلى ذلك تكون المعرفة التاريخية الاستقرائية جزءً لايتجزأ من بنية نظرية العلم الأرسطية التي تقف على قدمين احداهما القياس والأخرى الاستقراء؛ اذ أن "تصديقنا بالأشياء كلها اما يكون بالقياس وإما بالاستقراء".(٧٦)

ولما كان التاريخ هو علم استقراء الحوادث التاريخية وتسجيلها بهدف الإستفادة منها في حفظ ذاكرة الأمم والشعوب وفي استخلاص القوانين التاريخية فهو بلاشك علم مقبول عند أرسطو وان اعتبره أدنى مرتبة من العلوم ذات الطابع الاستنباطي - القياسي.

خامساً: مقولات الوعي عند اليونان:

ان الوعى التاريخى لدى مفكرى اليونان سواء كانوا من المؤرخين أو من الفلاسفة قد استند وتأسس على العديد من المبادئ أو المقولات التى أفرزها حرصهم الدائم على التأمل فى كل شئ؛ التأمل فى العالم الطبيعى من حولهم والتساؤل عن أصله وعن عناصره، التأمل فى الإنسان طبيعته وعلاقته بهذا العالم الطبيعى وبصانعه الأعلى "الإله"، التأمل فى المشكلات الإنسانية المختلفة سواء كانت أخلاقية أو سياسية أو نفسية أو علمية، التأمل فى التاريخ الانسانى وتطوره والتساؤل عن دور اليونانيين فيه ومدى قدرتهم على أن يكونوا متميزين عن غيرهم من الأمم والشعوب، والتساؤل كذلك حول أسباب الصراع الحضارى بين بلاد الشرق واليونان وحول من سيكون له الغلبة والسلطان؟!

ان هذه التأملات، وتلك التساؤلات بما تمخضت عنه من اجابات قد تولد عنها وتشكل عبرها بعض المقولات الأساسية التى اقتنع اليونانيون أنه لايصح التفكير الإنسانى بدونها وأنها تمثل المقدمات الضرورية للبحث الفلسفى فى الطبيعة أو فى

التاريخ على حد سواء. ولعل أهم هذه المقولات فيما يتعلق بالبحث التاريخى مقولتان هما؛ العلية والتغير أو التطور.

(١) العليـــة:

لقد أدرك اليونـان منـذ بدايـة تـاريخهم الفكـرى مبـدأ العليـة ودارت معظـم أبحـاث الفلاسـفة والعلمـاء والمؤرخيـن علـى أساسـه؛ فـلا شـئ يحـدث مـن لا شـئ أو لا شـئ يحـدث بالصدفة وانمـا هنـاك دائمـا سبب لكـل مـايحدث فـى العـالم.

مـن هنـا بـدأ بحـث الفلاسفة الأوائل فـى العالم الطبيعـى متسائلين عن علته الأولى، واستطاعوا منذ القرن السادس قبل الميلاد الوصول إلى علل أربعـة للوجود بشكل عـام هـى العلـة المادية المتمثلة فى العناصر الأربعة (المـاء - الهواء - النـار- التراب) وقد ركز الطبيعيون الأوائل (طـاليس- انكسـمندر- انكسيمانس وهيراقليطس) علـى البحـث عـن هـذه العلـة دون غيرهـا، (٧٧) وكذلـك فعـل انكسـاجوراس وأنبـادوقليس مـن الطبيعيين المتأخرين وأيضـا فلاسفة المدرسـة الذريـة لوقيبـوس وديمقريطس وان كانوا قـد اعتبرو أن الذرة هـى العلـة المادية الأولى للعالم الطبيعى وليست العناصر.

وقد أضاف بعض الفلاسفة الأوائل عللا معنوية؛ فقد قال هزيود وبارمنيدس وأنبادوقليس بالحب كعلة أولى. وقال انكساجوراس بالعقل. أما الفيثاغوريون فقد قالوا بالعدد واحد كعلة أولى للعالم وبدأوا من ذلك الوقت البحث عن علة صورية للعالم، ذلك البحث الذى استفاد منه وواصله أفلاطون بعد ذلك.(٧٨) وقد طور أرسطو أبحاث السابقين عن العلية على الصعيدين الفلسفى والعلمى وأضاف عليهم الكثير فيما يتعلق بالعلة الفاعلة والعلة الغائية.(٧٩) وقد طبق نتائج هذه الأبحاث فى العلية وأنواعها فيما كتب من مؤلفات علمية مختلفة فى العلوم الطبيعية وعلوم الحياة للظواهر السياسية لدرجة أنه خصص الكتاب الثامن من كتاب "السياسة" بأبوابه العشرة للبحث عن العلل المختلفة لظاهرة الثورات فى ظل الأنواع المختلفة للحكومة.(٨٠) وبالطبع فإن هذه النظرية الأرسطية المتكاملة حول العلل الأربعة يمكن تطبيقها كذلك على التاريخ (٨١). وقد أفاد منها بلاشك المؤرخون اليونان.

وعلى كل حال فإن البحث عن العلة لم يكن قاصرا على الفلاسفة فقط، بل كان توجها عاما لدى اليونانيين، ولا أدل على ذلك من النظر فى أبحاث المدارس العلمية المتخصصة خاصة المدرسة الأبقراطية التى التزم فيها ابقراط ومدرسته الطبية بالبحث المستمر عن علة أى مرض من الأمراض الإنسانية كما ركزوا أبحاثهم على دراسة تأثير البيئة على صحة الإنسان.(٨٢)

وهكذا الأمر بالنسبة للتاريخ والمؤرخين؛ فقد ارتبط مفهوم التاريخ بمفهوم الطبيعة عند اليونانيين ليس فقط من خلال البحث عن العلية كقاسم مشترك بين المنهج المتبع فى البحث، وانما أيضا لأن التاريخ يحقق لأعمال الإنسان الخلود فيصبح خالدا بجهده وبتسجيله لأعماله كما أن الطبيعة خالدة وان كان خلودها بدون جهد.(٨٣)

لقد أدرك المؤرخون اليونان أن البحث عن علة الحدث التاريخى أمر ضرورى وأن معرفة علل الأحداث التاريخية هو ما يؤدى إلى فهمها، وهو مايكشف عن دقة المؤرخ وعلميته. وقد كان هيرودوت أول من أدرك أهمية الوصول إلى علل

الأحداث التاريخية والتحقق من صحة روايتها، وقد عبر عن ذلك فى تأريخه وفى محاولته التحقق من بعض الروايات التاريخية التى كانت شائعة فى عصره.(٨٤)

وقد بلغ الوعى بأهمية مقولة العلية فى التأريخ قمة النضج على يد بوليبيوس مؤرخ القرن الثانى قبل الميلاد؛ فالتاريخ عنده عبارة عن أحداث متتابعة كل حدث منها يعد علة لحدث تال له وهكذا. وهو يشير إلى ذلك فى نص رائع يقول فيه "أن العناصر الجوهرية فى التاريخ هى نتائج ولوازم للعقل وفضلا عن ذلك هى أسبابها". (٨٥) ويدلل على صحة هذه المقولة العامة بقوله بعد ذلك مباشرة " اننا نلاحظ أن حرب انتيوخوس Antiochus قد نشأت من حرب فيليب، وحرب فيليب من حرب هانيبال، والحرب الهانيبالية من الحرب الصقلية، بينما الأحداث التى تتخللها عديدة ومتشابكة على الرغم من مظاهرها المختلفة وهى جميعا تتجه إلى الموضوع الرئيسى نفسه ويمكن تعلم ذلك من كتاب التاريخ العام وليس من هؤلاء الذين يكتبون تاريخ حروب معينة".(٨٦)

لقد كان بوليبيوس يعى أى نوع من المؤرخين هو حينما يقول"أننى أدرك أن تاريخى يختلف عن أعمال المتخصصين بشكل عميق اختلاف ما يعلمه العقل عما تسمعه الأذن".(٨٧) أنه بلا شك كان من المؤرخين الفلاسفة؛ فقد بشر منذ ذلك الزمن البعيد بمقولة هيجل الشهيرة "أن العقل سيد العالم" وأن التاريخ فى حقيقته انما يعد مسارا لتطور العقل"،(٨٨) وأدرك أن هذا العرض هو ما يميز الطريقة الفلسفية فى بحث التاريخ عن أى طريقة أخرى كما أدرك هيجل ذلك سواء بسواء.

وها هو يكشف بعقليته الفلسفية الواعية أن التعليل العقلى للأحداث هو جوهر التاريخ حينما يقول بعبارة متسائلة: "ماذا يفيد القارئ أن يخوض فى حروب ومعارك وحصار واسترقاق الشعوب ما لم يكن يقصد إلى أن يذهب إلى ما وراء ذلك فيقف على الأسباب التى أدت إلى انتصار فريق وهزيمة الفريق الآخر فى موقف بذاته، كل على حدة؟! ".(٨٩)

ولقد أدرك بوليبيوس متأثرا فى ذلك بلاشك بآراء أرسطو الميتافيزيقية فى التمييز بين العلل القريبة التى هى طابع البحث العلمى التجريبى والعلل البعيدة التى هى

خاصية البحث الفلسفى النظرى، أدرك أنه من الضرورى أن نبحث عن الأسباب البعيدة للأحداث التاريخية ولانكتفى بمعرفة أسبابها القريبة؛ اذ تعتبر الأحداث الأولى عادة أسبابا لما تليها من أحداث وليس هناك حادثة من هذه الأحداث القريبة التالية ما يمكن أن نعتبره فى نظره السبب الرئيسى لما جرى للإمبراطورية المقدونية.(٩٠)

إن البحث التاريخى لدى اليونان لم يتوقف عند البحث التجريبى عن العلة الجزئية للحدث الجزئى وانما تعداه إلى البحث عن العلة الرئيسة، العلة الكلية الشاملة لمجموعة من هذه الأحداث التاريخية المتتالية وهذا يعنى أن المؤرخ هنا قد اقترب من تلك النظرة الفلسفية الشاملة للأحداث؛ حيث أن المؤرخ فى التاريخ العادى يلجأ إلى التعليل لكنه يتقيد دائما فى استنباطه للأسباب بواقعة جزئية ويلتزم بأطر التاريخ الزمانية والمكانية، أما فيلسوف التاريخ فهو الذى يختزل العلل الجزئية للحوادث الفردية ـ الجزئية إلى علة واحدة أو علتين يفسر فى ضوئها التاريخ العالمى.(٩١)

وأعتقد أن بوليبيوس ممن أدركوا تلك المسألة، فقد حاول في تأريخه أن يكشف عن العلل الجوهرية في التاريخ العالمي حتى عصره وان لم يتطرف في ذلك كما يحدث لدى الفلاسفة الذين يتناولون التاريخ(٩٢)؛ أي أنه لم يغلب النظرة الفلسفية على التزامة برواية الأحداث التاريخية أو بعبارة أخرى لم يلوى عنق الأحداث التاريخية لتتوافق مع فكرة معينة يؤمن بها، بل كان مؤرخا غلبت عليه نزعته التاريخية التي تفسر الأحداث بما هو كامن فيها من أسباب، وان حاول جاهدا أن يكشف عن السبب الرئيسي الذي عنه تفرعت هذه الأسباب الجزئية للأحداث التاريخية الجزئية المتتالية.

(٢) التغير والتطور:

ان الناظر في تاريخ الفكر اليوناني يلاحظ أنه قد تجاذبه منذ البداية رأيان؛ أحدهما يرى أصحابه أن كل شئ يتغير وأن كل ما في الطبيعة في حركة مستمرة أو في سيلان دائم على حد تعبير هيراقليطس، والآخر يتجاوز أنصاره هذا التغير البادي في الطبيعة ويرون أن الحقيقة واحدة ومن ثم فإن البحث عنها يكون في ادراك الثبات والوحدة خلف هذا التغير وهذا ما قال به فيثاغورس وبارمنيدس وسقراط، أو يكون في عالم مفارق تماما لهذا العالم المحسوس وهذا هو رأي أفلاطون.

ولما كانت المعرفة التاريخية بطبيعتها تعد بحثا فى الظروف والاحداث الإنسانية المتغيرة من جانب، وقد تتطور من جانب آخر وصولا إلى معرفة القانون الكلى أو العلة الكلية المفسرة للأحداث الجزئية فإن الرؤى التاريخية للمؤرخين والفلاسفة اليونان قد تأرجحت بين الرأيين السابقين.

فالمؤرخون العاديون قد ساروا على نهج هزيود وتابعوا من الفلاسفة انكسيمندر وهيراقليطس.(٩٣) أما المؤرخون من ذوى النظرة الكلية فقد تأثروا بالفلاسفة العقليين فبحثوا مثلهم عن الوحدة خلف الكثرة أى حاولوا الوصول إلى القانون الأساسى للتطور التاريخى. والطريف أن الجميع قد أدركوا أن أحداث التاريخ البشرى تتطور من خلال التغير الذى يطرأ على كل شئ، وأن هذا التطور يتم بصورة مطرده. وربما يكون هزيود(٩٤) هوأول من شرع فى وضع هذه الفكرة أمام ناظرى اليونان حينما قال فى "الأعمال والأيام":

"فى البدء صنع الآلهة الخالدون الذين يسكنون على جبل الأوليمب جنسا ذهبيا من أناس فانين، وعاش هؤلاء الرجال فى

أيام كرونوس عندما كان ملكا فى السماء، عاشوا على نحو مايعيش الأرباب وقد خلت قلوبهم من الهموم والأحزان.. ولما طوى الثرى هذا الجنس تحولوا إلى أرواح طيبة بفعل ارادة زيوس العظيم.. ثم صنع بعد ذلك ساكنو جبل الأوليمب جنسا من الفضة أقل نبلا، جنسا لايماثل الجنس الذهبى جسما وروحا.. وبعد أن طوى الثرى هذا الجنس كسابقه... خلق الأب زيوس جنسا بشريا ثالثا، جنسا برونزيا لايمت إلى الجنس الفضى بأية صلة صنعه من شجرة الدردار قويا مرعبا..... والآن وقد غطى الثرى هذا الجنس أيضا مالبث أن خلق جنسا رابعا على الأرض الخصبة، صنعه زيوس بن كرونوس جنسا أفضل وأكثر استقامه ليشبه جنس أبطال الآلهة الملقبين بأنصاف الآلهة، الجنس السابق لجنسنا على الأرض المترامية الأطراف. وهؤلاء قضت عليهم الحرب الضروس والمعركة المخيفة... والآن ليتنى ما تلكأت لأعيش مع الجنس الخامس ..... لأننا الأن فى الأيام المتأخرة زمن الجنس الحديدى. ولن يكف البشر عن العمل قط ولن تفارقهم الهموم بالنهار ولا من قبضة المهلك بالليل وما أقسى الهجوم الذى سوف تبلوهم به الآلهة".(٩٥)

وتوالت بعد ذلك العديد من الصور التى عبر فيها فلاسفة اليونان عن ايمانهم بذلك التطور الذى طرأ على تاريخ البشرية منذ أن كانوا بشرا إلهيين خالدين حتى أصبحوا بشرا فانين مهمومين تتهددهم الأخطار بالليل وبالنهار؛ فقد ترددت هذه الصورة نفسها عند أفلاطون فى أكثر من موضع وان تم ذلك فى شكل مختلف وبصورة أكثر قربا مما ندعوه فلسفة للتاريخ؛ ففى محاورة"السياسى" يستخدم أفلاطون هذه الصورة الأسطورية الخيالية ويتحدث عن التغيرات التى تطرأ على الكون وفى العالم الطبيعى بما عليه من بشر من مرحلة خضعت للإشراف الإلهى حيث كانت عناية الآلهة تكلأ حياة البشر وترعاهم دون أن يكون هناك دولة ولا ملكية للنساء والأطفال وهى مرحلة استمتع فيها الجميع بحياة ناعمة هادئة يأكلون فيها كل أنواع الثمار التى تنبت تلقائيا دون أن يصابوا بأى مرض، إلى مرحلة تغير فيها الحال حيث استنفدت كل خيرات الأرض وبدأ التحلل فى أجزاء الكون وعناصره المادية وعانى البشر من الإضطرابات والوحشية والأمراض ووجدوا أنفسهم فى مأزق حرج، فوهبتهم الآلهة الهبات الأسطورية التى تمكنهم من التعلم تحت ضغط الحاجة؛ فقد وهب الأنسان النار من الإله برومثيوس، ووهب

الفنون المختلفة وعلى رأسها فنون القتال من هيفايستوس وكان على الأنسان بعد ذلك أن يواجه مشاكله بنفسه وأن يعيش معتمدا على قدراته الذاتية.(٩٦)

أما فى محاورة "القوانين"، فقد خصص أفلاطون الكتاب الثالث للحديث عن كيفية تطور الجنس البشرى إلى ان نجح الأنسان- بعد التكرار المدمر للجنس البشرى كله بسبب الفيضانات والأوبئة وغيرها - فى التغلب على كل تلك الظروف وفى اكتشاف معنى الدولة والمدينة بعد أن كان جاهلا بهما. وبالطبع فلم يتم ذلك فجأة"وفى لحظة واحدة بل تم شيئا فشيئا وبعد انقضاء مدة طويلة من الزمن".(٩٧)

وقد شرح أفلاطون مراحل هذا التطور وكيفيته ووصف طبيعة البشر الذين قام على اكتافهم هذا التطور، ونوع الحياة التى عاشوها وأنواع الحكومات التى كونوها إلى أن وصل إلى المرحلة الرابعة التى عاصرها وهى المرحلة التى تأسست فيها دولة المدينة.(٩٨)

لقد قدم أفلاطون اذن فى هاتين المحاورتين تصورا خاصا لنشأة وتطور الحياة البشرية ككل على هذه الأرض. وهذه

بلاشك رؤية كلية تضرب فى أعماق التـاريخ ماضيـه وحـاضره وان افتقرت هذه الرؤية إلى التساؤل عن ذلك المبدأ الـذى يحكم هذا التطور؛ فهل تم هذا التطور بفعل العناية الإلهية ووفـق قدر مرسوم أم تم من خلال فاعلية الإنسان وعلى أسـاس مـن تطـور قدراته الذاتيه وتطور علومـه فاستطاع تكويـن المجتمـع واقامـه الدولة التى تتضافر فيها قدرات وجهـود الأفراد لتحقيـق أهـداف الجماعة الإنسانية؟! أم تم ذلك التطور وفق العاملين معاً؟!

ان أفلاطون لم ينشغل صراحة بهذا التساؤلات أو بالإجابة عليها، ومع ذلك يمكننا أن نستخلص مما كتبه الميل إلـى الأخـذ بالعـاملين معـا؛ فقـد كـان يـرى أن الكـون بكافـة شئونه محكـوم بالرعاية الإلهية والقـدر المحتـوم، وفـى ذات الوقـت كـان يؤمـن بقدرة الإنسان علـى أن يزيد مـن فاعليتـه لتطويـر حياتـه المدنيـة والوصول بها إلى أكمل صورة ممكنة تعود بالإنسان إلى محـاكاة ذلك العصر الذهبى الأول الذى كان البشر فيه آلهة أو شبه آلـهة. وما الجهد الذى بذلـه افلاطـون فـى رسـم معـالم المدينـة المثاليـة الفاضلة فى "الجمهورية" أو فى رسم معالم المدينة التالية لها فـى الأفضلية فى "القوانين" إلا أبـرز دليـل علـى ايمانـه الشـديد بـأن

الانسان يمكنه اذا استنهض قواه التأملية العاقلة وتصرف وفقا لها أن يصل إلى الكمال وأن يحقق المثال على أرض الواقع.

وقد انتقل هذا الاعتقاد الأخير بمبدأ تطور الحياة البشرية وبقدرة الإنسان على الفعل الموجه لهذا التطور وصنع الأحداث من أفلاطون إلى تلميذه أرسطو وإلا ما كان قد اهتم ببحث كل ما يخص الشئون البشرية نفسية كانت أو اجتماعية، أخلاقية كانت أو سياسية. وما كان قد أعمل فكره هو الآخر فى رسم معالم دولة مدينة مثالية على مدار كتابين من كتابه الشهير"السياسة".(٩٩) كما أن معظم المؤرخين اليونان قد أدركوا هذا المبدأ وأرخوا عملا به وان تفاوت ايمانهم بمدى فاعلية البشر وقدرتهم على صنع هذا التطور بمفردهم.

فهيرودوت الذى اتسم تأريخه بسعته الجغرافية وتنوع الشعوب التى أرخ لها قد قرر أنه رغم تنوع أساليب العيش لدى الشعوب المختلفة ورغم أن كلا منها يعتقد أن أسلوب حياته هو أفضل الأساليب، إلا أنهم جميعاً فى رأية يتمسكون بقوانين معينة ويسلكون وفقا لها وكأنها مشتركة بينهم جميعا. وذلك فيما يبدو اشارة منه

إلـى القـانون الطبيعـى الـذى اعتبره سـيد الجميـع(١٠٠) ومـن ثم فإنه يتقبـل بنـاء علـى ذلـك فكـرة القـدر النهـائى الـذى يتحكـم فى أفعـال البشـر ويحـد من شـططهم حتـى تتحقـق العدالـة فيمـا بينهم. والنـاس فـى خضوعهم لهـذا القـدر العـادل لايختلفـون عـن الآلهـة "اذ ليـس مـن الممكـن بالنسـبة حتـى لأى إلــه أن يفر ممـا قضـى بـه القـدر"(١٠١)

وان كان هيرودوت بإيمانه بهذا القدرالإلهى العـادل الـذى يسرى على الالهة والبشر قد قلل من قـدرة الإنسـان علـى صنـع حياته وتطوير شئونه بنفسه، فإن ثيوكيديدس كـان ممـن أدركـوا جيداً أن التاريخ الإنسانى قد تطـور بفعـل وفاعليـة الإنسـان وان كـان قـد أدرك فـى نفـس الوقـت أن هـذه الفاعليـة محكومـة بتصـاريف القـدر. لقد آمـن ثيوكيديـدس بـأن القـدرات العقليـة للرجـال مـن صـانعى الأحـداث تتفـاوت بـاختلاف الغايـات التـى يسعون إلى تحقيقهـا وبـاختلاف الوسـائل التـى يسـتخدمونها فـى الوصول إلى تلك الغايات.(١٠٢)

أما بوليبيوس فقد ساعدته نظرته الفلسفية الكلية إلى تتـابع أحداث التاريخ الإنسانى على ادراك مـدى التداخـل بيـن التـاريخ

الجزئى والتاريخ العالمى. وبعبارة أخرى ساعدته هذه النظرة على ادراك أن التاريخ الجزئى لأى شعب من الشعوب أو لأى أمة من الأمم انما يفهم مدى تطوره وتقدمه فى ضوء التاريخ العالمى الشامل. وها هو يعبر عن ذلك بوضوح حينما يتحدث عن تاريخ روما قائلا: "أنه من العسير بدون دراسة التاريخ العالمى أن ندرك كيف بلغت روما التفوق الشامل، وأية أحداث محلية وخاصة عاقتها عن تنفيذ مشروعاتها العامة. وكذلك ما هى الأحداث والأزمات التى تعزى إلى نجاحها. لأنه من السهل على أية حال للأسباب ذاتها أن ندرك عظمة جهود روما أو قوة أنظمتها".(١٠٣)

ان الاعتقاد فى مقولة التطور اذن كان يمثل أحد المقولات الرئيسية فى الوعى التاريخى عند اليونان . ولكن السؤال الذى قد يطرح نفسه هنا هو: على أى صورة فهموا مسيرة هذا التطور؟ هل هذا التطور يعنى التقدم إلى الأمام وفى خط مستقيم؟! أم أنه يأخذ مسارا دوريا أى يأخذ مسار الصعود والهبوط؛ التشكل والنضج حتى مرحلة معينة ثم الإنهيار والتحلل ليبدأ من جديد. وهكذا؟!

أعتقد أن اليونانيين قد فهموا التطور بالصورتين معا؛ فقد نجح بعض الفلاسفة فى ادراك المعنى الأول للتطور أى التطور الذى يأخذ مسارا تقدميا وأبرز هؤلاء بروتاجوراس وأبيقوروسينكا. أما المعنى الثانى فكان هو الغالب على تصور فلاسفة اليونان ومؤرخيهم للتاريخ؛ اذ أن ذلك التصور نجده عند انكسيمندر وهيراقليطس وانبادوقليس من الفلاسفة الأوائل، كما نجده لدى أفلاطون وماركوس أوريللوس بعد ذلك. كما نجده عند بعض المؤرخين خاصة المتأخرين منهم أمثال بوليبيوس وثاكتيوس. لقد تشكل لدى هؤلاء وأولئك ملامح ما ندعوه بالتفسير الدورى للتاريخ.

سادساً: نظريات التفسير التاريخى:

(١) نظرية التقدم:

لقد آمن اليونانيون عموما بأن الحضارة الإنسانية انما تتقدم على أيديهم خطوات واسعة إلى الأمام. ولعل هذا الاعتقاد هو ماجعلهم يرون فى أنفسهم التميز والتفرد فى الوقت الذى نظروا فيه إلى الشعوب الأخرى نظرة احتقار وتدن.

وربما انعكست هذه النظرة على رؤيتهم للتاريخ الإنسانى، فرأوا أن جوهره هو التقدم وأن غايته هى تحقيق أكبر قدر من السعادة والرفاهية للإنسان بحيث يقترب البشر شيئا فشيئا من تحقيق النموذج الأمثل للحياة الأخلاقية ـ الإجتماعية التى يحاذون فيها الكمال الإلهى !

وعلى ذلك فإنه اذا كانت فكرة التقدم الإنسانى ـ فيما يقول بيرى ـ هى "نظرية تتضمن تركيبا للماضى ونبوءة عن المستقبل وأنها تقوم على تفسير للتاريخ يعتبر البشر يتقدمون ببطء فى اتجاه محدد ومرغوب فيه. وأن هذا التقدم سيتم إلى أمد غير محدد وأن وضعا من السعادة العامة سيتم التمتع به فى نهاية الأمر".(١٠٤)

أقول أنه اذا كانت فكرة التقدم تعنى ذلك فى مفهومنا الحديث، فإن المرء يستطيع أن يقول دون تردد أن اليونانيين كانوا من أوائل من آمن بهذه الفكرة وعمل بها ولها، وأنها ليست كما قال بيرى "فكرة حديثة النشأة نسبيا"(١٠٥).

ان بروتاجوراس زعيم السوفسطائيين الذى عاش فيما بين عامى ٤٩٠و٤٢١ أو ٤١٠ تقريبا، (١٠٦) كان من أشد المؤمنين بفكرة التقدم الإنسانى ؛ فعبارته الشهيرة " ان الأنسان معيار الأشياء جميعاً" تشير بوضوح إلى أن كل فرد من أفراد البشر انما يصنع حياته بنفسه باعتباره المقياس لوجود الأشياء، وباعتباره معيارا للخير والشر على أساس ما ينفعه فى حياته. لقد كان من أبرز النتائج التى استنبطها بروتاجوراس من عبارتة تلك، ان الانسان هو صانع حضارته بنفسه لأن الآلهة ـ حسب نص الأسطورة التى أطلقها فى المحاورة التى أسماها أفلاطون بإسمه ـ لم تهب الأنسان شيئا حينما وزعت الصفات بين الكائنات. ولما حانت لحظة خروج الإنسان إلى ضوء النهار سرق برومثيوس له الفنون الآلية الخاصة بهيفايستوس (إله البراكين والنار والحدادة ومدرب الصناع) وأثينا (الهة الحكمة والمهن الفنية) ومعها النار وأعطاها للإنسان لتساعده فى حياته. وقد حوكم بروميثيوس من قبل الآلهة على فعلته هذه! " ولم يمضى وقت طويل حتى اخترع الإنسان اللغة والأسماء وعرف تشييد المساكن وصنع الملابس والأحذية والفرش وأقام من الأرض دعامة".(١٠٧) وكان هؤلاء

البشر"مشتتين أول الأمر اذ لم يكن هناك مدن وكانت النتيجة أن هددتهم الحيوانات المفترسة بالتدمير... ولم يكن لهم فن حكومة تكون الحرب جانبا منه وبعد مدة كانت الرغبة فى حفظ الذات داعيالهم ليتجمعوا فى مدن".(١٠٨)

لقد صنع الإنسان اذن مظاهر تقدمه بنفسه بما فيها الأخلاق والفضائل "فهى شئ اكتسبه الأنسان نتيجة لما بذل من جهد"(١٠٩) واذا كان زيوس _ كما يقول بروتاجوراس فى نفس الأسطورة _ قد تدخل وأرسل هرمس لينعم على البشر بالعدالة Dike والأعتدال idos (١١٠)، فإن هذا كان لخشيته أن يتعرض النوع البشرى للفناء نتيجة لعوامل التنافس والصراع، كما أن هذا التدخل على فرض صحته قد جاء بعد أن بدأ الإنسان فعلا فى تشكيل حياته الإجتماعية والسياسية وكان من الطبيعى أن يصل الإنسان شيئا فشيئا إلى تحقيق العدالة والنظام وأن ينخرط كل فرد فى هذا الاطار الإجتماعى العام لأن "عدم قدرته على المشاركة فيه معناه أنه سيتعرض للقتل".(١١١)

ان هذه الرؤية لبروتاجوراس حول أصل الحياة الاجتماعية والسياسية وأصل الفضيلة تجعله أقرب ما يكون إلى

ما عرف فى العصر الحديث بنظرية العقد الإجتماعى التى نالت شهرة واسعة وأهمية متزايدة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال تطويرها على يد توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو، (١١٢) اذ أن جوهر المجتمع المدنى قد تكون على أساس صورة معينة من صور الاتفاق بين البشر وهو يتطور بتطور وعيهم وتبعا لحاجاتهم.

ولما كان بروتاجوراس قد إستبعد الفعل الإلهى أو العناية الإلهية من حياة الأنسان وتاريخه واعتبر أن تطور الحياة البشرية انما يقوم على نوع من الالتحام بين العلم والعمل حيث ورد عنه قوله "لاخير فى نظر بلاعمل أو فى عمل بلا نظر" وقوله كذلك "لايتأصل التعليم فى النفس إلا اذا ذهب إلى الأعماق".(١١٣) أقول لما كان بروتاجوراس يرى ذلك فإنه يعد أقرب ما يكون كذلك إلى آراء فولتير وكوندرسيه وهما من أبرز أنصار نظرية التقدم فى القرن الثامن عشر، تلك النظرية التى يرى دعاتها مثلما كان يرى بروتاجوراس أن تقدم الحياة الأنسانية مرهون بما يقدمه العلماء والمفكرون من نظريات دافعة إلى التقدم من ناحية، ومحررة الإنسان من الجهالة والخرافة من ناحية أخرى.(١١٤)

ان نظرية التقدم الأنساني لم توجد فقط عند بروتاجوراس من مفكرى اليونان الأوائل بل وجدت أيضا لدى شعراء وكتاب هذا العصر؛ فقد عبر عنها ايسخولوس الذى صور الناس على أنهم كانوا يعيشون حياة معرضة للمخاطر ثم انتشلوا أنفسهم من هذه الحالة حينما تعلموا فنون الحياة من برومثيوس.(١١٥) ونفس التصور نجده عند يوريبيدس الذى عبر عن ارتقاء الإنسان من الحياة الهمجية البدائية إلى الحياة المدنية المتحضرة، فكلاهما اذن كان لديه فكرة مؤداها "أن الإنسان قد تقدم".(١١٦)

ان ادراك هؤلاء للتقدم لم يكن متعارضا ـ فيما يرى بيرى ـ مع الإيمان الواسع الإنتشار أنذاك بانحطاط الجنس البشرى ولم يكن يبدو عادة كمذهب منافس؛ فالأسطورة القديمة عن "العصر الذهبى" الذى سقط منه الإنسان كانت مقبولة على نطاق واسع كحقيقة وكان قادة الفكر اليونانى يجمعون بينها وبين مذهب التسلسل المتدرج للتحسينات المادية والإجتماعية خلال مرحلة الأنحطاط اللاحقة. ان هاتين النظريتين نجد الواحدة منها مقترنة بالأخرى فى محاورة "القوانين" لأفلاطون،

كما نجدهما في أول تاريخ للحضارة كتبه ديكيارخوس تلميذ أرسطو.(١١٧)

وعلى أية حال، فإنه على الرغم من ان اقتران النظريتين معا لدى بعض أعلام الفكر اليوناني قد يشير إلى عدم نضج الوعي التاريخي لديهم وإلى وجود بعض الخلط بين مفهومي التطور والتقدم، وبين المفهومين معا ومفهوم النظرية الدورية في تفسير التطور التاريخي للحضارة الأنسانية. أقول على الرغم من ذلك فإن تعبير بروتاجوراس عن نظرية التقدم كان واضحا ولا لبس فيه أو غموض. ولاشك أن هذا الوضوح الذى اتسمت به رؤية بروتاجوراس كانت من تأثير مادية أستاذه ديمقريطس وتفسيره للعالم الطبيعي تفسيرا أليا لا دور فيه للآلهة ولاتدخل منها في شئون البشر. وربما كان ذلك أيضا هو ما أثر بشدة في رؤية أبيقور والأبيقوريين الذين أحيوا النظرية الذرية القديمة في تفسيرها للعالم الطبيعي في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، وطوروها فيما يتعلق بتفسير التاريخ الإنساني؛ حيث رفض الأبيقوريون تلك الفكرة الأسطورية عن العصر الذهبي والانحطاط الذى أصاب الحياة البشرية بعده لأنها

تتعارض بشكل واضح مع نظريتهم القائلة بـأن العـالم قـد تشـكل آليا من الذرات بدون تدخل من الآلهة.(١١٩)

لقد تطورت الحياة البشرية فى نظر الأبيقوريين من الحالة الأقدم التى كانت تشبه حالة الحيوانات وكانت حياة بدائية بائسـة إلى حياة حضارية بلغوها بجهدهم وعلومهـم وليـس بارشـاد مـن الخارج أو كنتيجة لخطة أولية. ان حياة الإنسان قد تطورت عن طريق ممارسة الذكاء الإنسانى عبر فترة طويلة من الزمن. وقد تم هذا التحسن التدريجى فى الحياة البشـرية منـذ اكتشـاف النـار واسـتعمال المعـادن واخـتراع اللغـة والحياكـة ونمـو الفنـون والصناعـات والملاحـة وتطـور الحيـاة الأسـرية واقامـة النظـام الإجتماعى بواسطة الملوك والقضاة والقوانيـن وتأسـيس المـدن. وكانت الخطوة العظيمة الأخيرة فـى تحسـن ظـروف الحيـاة فـى رأى لو كريتيوس أشهر الأبيقوريين فى القرن الأول قبل الميلاد هى الفلسفة التنويرية لأبيقور الذى بدد الخوف من القوى الخفيـة وقاد الإنسان من الظلام الفكرى إلى النور.(١٢٠)

ان الفلاسـفة الأبيقورييـن ـ علـى حـد تعبير بيـرى ـ قـد خطوا بالفعل خطوة هامة فـى اتجـاه مذهـب التقـدم حينمـا نبـذوا

نظرية الانحطاط وحينما اعتبروا أن الحضارة قد خلقتها سلسلة من التحسينات المتوالية التى أنجزها جهد الإنسان وحده،(١٢١) وان كان يعيب عليهم نظرتهم الآنية للتاريخ الإنسانى، فهم على حد تعبيره لم يتطلعوا إلى عملية مطرده ومتواصلة لمزيد من التحسن فى المستقبل.(١٢٢)

والحقيقة التى نراها واضحة أن رفض الأبيقورية لنظرية الأنحطاط الإنسانى وكذلك رفضهم التدخل الإلهى فى التاريخ ومحاربتهم فى ثنايا هذا وذاك لكل أشكال الخرافة التى سادت فى العصر اليونانى يفتح الطريق تلقائيا إلى النظر إلى المستقبل بعين متفائلة. فالإنسان الذى تخلص من كل أشكال الخوف وتسلح بالعلم واقبل على العمل سيحقق التقدم المطرد فى مستقبل أيامه ولن يتوقف ايمانه بامكانية تحقيق هذا التقدم المنشود ان لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد.(١٢٣)

ان فكرة الأبيقوريين عن التقدم اكثر شمولا واتساعا عن مثيلتها لدى بعض الرواقيين؛ فالرواقيوان عامة كانوا من أنصار النظرية الدورية فى تفسير التاريخ كما سنوضح بالتفصيل فيما بعد لأنهم آمنوا مثل هيراقليطس بظاهرة الاحتراق الكلى للعالم

كما اعتقدوا من جانب آخر بالعناية الإلهية التى تحيط العالم بما فيه من بشر بكل الرعاية وترسم لهم قدرهم المحتوم. ومع ذلك نجد أن سينكا من بين الرواقيين قد انفرد بالاعتقاد بصورة واضحة من صور نظرية التقدم حينما صرح بأن زيادة فى المعرفة يجب توقعها فى المستقبل وكتب فى ذلك قائلا: "هناك الكثير من الناس يجهلون اليوم سبب خسوف القمر، ولم يوضح هذا السبب فى أوساطنا إلا مؤخرا. ولسوف يأتى اليوم الذى يفسر فيه الزمن والإجتهاد الإنسانى مسائل مبهمة الآن. اننا نقسم أعوام أعمارنا القليلة تقسيما غير عادل بين الدراسة والرذيلة. ولذلك فإن تفسير ظواهر كالمذنبات سيكون من عمل أجيال عديدة. ذات يوم سيعجب من سيأتى بعدنا من جهلنا لأسباب واضحة جدا لهم. كم من الحيوانات الجديدة عرفناها للمرة الأولى فى العصر الحاضر! فى الزمن القادم سيعرف الناس الكثير مما نجهله نحن. وهناك الكثير من الاكتشافات المدخرة للأزمان القادمة حين تكون ذكرانا قد ذبلت فى أذهان الناس. نحن نتصور أننا أرشدنا إلى اسرار الطبيعة فى حين نحن لانزال واقفين عند عتبة معبدها".(١٢٤)

وما أشبه هذا الكلام لسينكا الذى واجه لحظة اعدامه على يد نيرون بشجاعة نادرة بما كتبه المركيز دى كوندرسيه فيلسوف التنوير والتقدم وهو يواجه خطر الاعدام بالمقصلة فى بيانه الملئ بالتفاؤل حول التاريخ بوصفه تقدما مطردا للبشرية نحو الحق والسعادة، حيث كتب يقول"ان قابلية الكمال.. يمكن أن تعد من القوانين العامة فى الطبيعة"وأن الطبيعة لم تضع أمام أمالنا أى حدود".(١٢٥)

ان فكرة التقدم عند سينكا قد تركزت فى ايمانه بتقدم المعرفة واعترافه بقيمة العلم فى صنع هذا التقدم، وان كان فيما يرى بيرى لم ينظر لما سيجلبه هذا التقدم من منافع للجماعة البشرية ولم يتوقع من تقدم المعرفة أى تحسين للعالم، (١٢٦) بينما ترتبط فكرة تقدم المعرفة بفكرة التقدم الإجتماعى عند كوندرسية؛ فتقدم المعرفة عنده يعد دليلا على مسيرة الإنسان التى لاتتوقف نحو التقدم الفكرى وتقدم الحرية والفضيلة واحترام الحقوق الطبيعية. (١٢٧)

وربما يرجع الفرق بين نظرية سينكا ونظرية كوندرسيه إلى أن الثانى كان ينظر إلى مسار التاريخ مثلما كان ينظر إليه

كل دعاة التقدم والتنوير فى العصر التحديث على أنه يسير قدما إلى الأمام أى على نحو مستقيم، بينما ارتبط ايمان سينكا بنظرية التقدم بالنظرية الرواقية العامة فى تفسير الطبيعة؛ تلك النظرية القائلة بالاحتراق الكلى للعالم بما يترتب على ذلك من ضرورة الاعتقاد فيما يتعلق بالتاريخ البشرى بنظرية الانحلال والفناء والفساد. فالحياة الإنسانية ككل يجرى تدميرها دوريا اما بالنار وأما بالطوفان، وكل دور يبدأ فيه الناس حياتهم ببساطة وبدائية سمتها الجهل وعندما يتقدمون بالعلم والمعرفة وتزدهر لديهم الفنون والآداب والاختراعات يبدأ التدهور نتيجة لما يسببه التقدم العملى والتقنى من اختراعات وفنون وأداب تيسر حياة الترف والرذيلة.(١٢٨)

ولعل ذلك الخلط بين نظرية التقدم والنظرية الدورية فى تفسير التاريخ على النحو الذى رأيناه الآن عند سينكا يوضح أنه لم تكن الفواصل قد اتضحت بعد بين هذه المصطلحات التى هى بلاشك حديثة النشأة، كما يوضح من جانب أخر أن رؤية الفيلسوف اليونانى للتاريخ لم تنفصل مطلقا عن رؤيته للطبيعة. وربما يكون بروتاجوراس وبعض أقرانه من السوفسطائيين هم

الاستثناء بين هؤلاء الفلاسفة اليونان لأنهم لم ينشغلوا بقضية تفسير العالم الطبيعى بقدر ما شغلتهم قضايا الإنسان وكيف يصنع تقدمه من خلال امكانياته الذاتية وقدراته المعرفية والعملية الخلاقة.

(٢) النظرية الدورية فى تفسير التاريخ:

ان الارتباط بين نظرة الفيلسوف اليونانى إلى التاريخ وبين تفسيره للطبيعة جعل معظمهم يميلون إلى الإيمان بفكرة الأدوار التاريخية ـ الحضارية؛ فالتاريخ الإنسانى يدور مع الدورات الطبيعية ميلادا وفناءً، ازدهارا واضمحلالا. والاعتقاد فى هذه الرؤية الدورية للتاريخ ليست مقصورة على اليونانيين بل كانت ذات جذور عميقة فى الفكر الشرقى القديم وخاصة لدى الهنود القدماء؛ اذ نطالع فى سفر المهابهاراتا(١٢٩) الأساس النظرى الذى استندت عليه هذه الرؤية حيث يقول كاتبوه"ان مجرى الزمن الذى لايقاوم يؤثر على الفانين، وكل الأشياء الأرضية لدى نضوجها بمرور الزمن تقاسى الفناء "(١٣٠)، "أنَ ولادة وفناء المخلوقات قد نظما لكى يحدثا وفقا لطبيعتها".(١٣١)

ان هذا السفر يحتوى على تصور واضح للطبيعة الدورانية للتاريخ، حيث أن كل دورة تشمل أربعة عصور (أو يوجات)؛ أما العصر الأول فهو العصر الذهبى أو عصر "الكريتا" حيث يكون كل شئ فيه بالغ الكمال، أما الثانى فهو عصر "التريتا" فتصاب فيه الفضيلة بالانحطاط، على حين تنتشر فى العصر الثالث وهو عصر "الدافابارا" الأمراض والخطايا وتزداد المراسم الظاهرية وتصاغ القوانين. وفى العصر الرابع وهو العصر"الكالى" أى أسفل درك فى الدورة فتتسلط فيه الآلام ويهمل الدين وعند نهايته يجرى امتصاص كل شئ فى البراهما وتبدأ الدورة مسيرتها الأولى مرة ثانية وهكذا دواليك إلى الأبد.(١٣٢)

ولقد عبر معظم فلاسفة اليونان الأوائل فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد عن هذه الرؤية الدورية فيما يتعلق بتفسير الوجود.(١٣٣) وربما كان انكسيمندر ثانى فلاسفة المدرسة الملطية أول من عبر عن هذه الرؤية حينما قال "أن الأبيرون Apeiron" (اللامحدود) هو المادة الأولى للأشياء الكائنة... وأن الأصل الذى تستمد منه الموجودات وجودها هو

الذى تعود إليه عند فنائها طبقا للضرورة"(١٣٤). وهكذا امن انكسيمندر بأن التطور الدورى للعالم الطبيعى أشبه بقانون عام فالأشياء تخرج من اللامحدود ثم تعود تنحل وتعود إليه ويتكرر الدور وهكذا دواليك.(١٣٥)

أما هيراقليطس فقد كان من أبرز من عبروا عن هذه النظرية الدورية، فقد أشار إليها فى شذرات عديدة منها شذرته الشهيرة التى قال فيها ان دورات العالم الطبيعى أساسها النار التى تشتعل بحساب وتخبو بحساب.(١٣٦) وقد نقل رأية ذلك إلى عالم الحياة الإنسانية فى شذرات أخرى مثل قوله "الخالدون فانون، والفانون خالدون، وأحدهما يعيش بموت الآخر ويموت بحياة الآخر"،(١٣٧) وقوله "حين يولدون يرغبون فى الحياة وفى لقاء مصيرهم (الموت) ويخلفون وراءهم أبناء يلقون مصيرهم بدورهم".(١٣٨) وقد عبرعن التكرار الدورى لكل ذلك فى قوله"الطريق إلى أعلى والطريق إلى أسفل واحد ونفس الطريق".(١٣٩) وفى قوله أيضا "البدء والنهاية فى محيط الدائرة واحد".(١٤٠)

وقد عبر بارمنيدس عن نفس الرؤية حينما قال فى قصيدته الشهيرة وفى "طريق الحق" منها أى فى ذلك الجزء الذى نأخذ منه الجانب الايجابى من فلسفته، "ان كل شئ واحد من حيث أبدأ لأنى سوف أعود إلى المكان نفسه"(١٤١).

أما أنبادوقليس، فقد أعطاها أبعادا أعمق حينما صور العالم وجودا وفناءً من خلال تناوب مبدأى المحبة والكراهية Philia & Neikos فى تأثيرهما على الوجود؛ فإنهما فيما يقول "كما كانا موجودين من قبل فإنهما سوف يوجدان ولن يخلو منهما الزمان الأزلى".(١٤٢) فالعالم والأشياء والكائنات بما فيها البشر تتكون عند أنبادوقليس من العناصر الأربعة اذا ماتألفت وساد بينها المحبة، وهى تفنى اذا تنافرت العناصر وساد بينها الكراهية. وعلى ذلك فإن للعالم الطبيعى دورات متعددة من الوجود والفناء يعبر عنها قوله "ان اتحاد جميع الأشياء يؤدى إلى ظهور جنس الأشياء الفانية وفساده وإلى اختفاء جنس آخر كلما انفصلت العناصر وانقسمت الأشياء. وهذه لاتتوقف أبدا عن التبادل المستمر...أنها تظل دائما دائرة مع دوران الوجود".(١٤٣) "أنها لو كانت فاسدة على الدوام ما كانت موجودة الآن".(١٤٤)

ان النظرية الدورية فى تفسير العالم الطبيعى كانت اذن هى النظرية التى شاعت على نطاق واسع بين اليونانيين لدرجة يمكن أن توصف معها بأنها - على حد تعبير بيرى - تمثل النظرية الأرثوذكسية للزمن الكونى عند اليونان ثم الرومان،(١٤٥) وبحسب الرأى الذى ردده بعض أتباع فيثاغورس فإن أنصار هذه النظرية كانوا يرون بشكل عام أن كل دور يعيد مجرى أحداث الدور السابق بأدق التفاصيل اذ "تراءى لهم أنه ليس هناك من سبب يدعو إلى خلق عالم مختلف أقل اختلاف عن سابقه اذا ماتبدد الكون فى الفوضى الأصلية. ومع أن الدور الأخير سيكون مختلفا من حيث العدد عن الأول فإنه سيكون متطابقا معه من ناحية أخرى وليس بوسع أنسان أن يعرف رقم الدور الذى يعيش فيه"(١٤٦). فالأدوار تتكرر إلى مالا نهاية له ومجرى التاريخ العالمى سيحتوى بلا شك على مالا نهاية له من الأدوار المتكررة!

ان هذا التفسير الدورى للوجود وللعالم الطبيعى عند هؤلاء الفلاسفة الأوائل قد انتقل على يد العديد من المؤرخين والفلاسفة التاليين إلى ميدان تفسير الظواهر التاريخية

الإنسانية. فلقد أدرك هيرودوت منذ البداية فى تأريخه فكرة الفناء، (١٤٧) إلا أنه لم يتحدث بما يشير صراحة إلى اعتقاده بالتكرار الدورى للأحداث التاريخية. وكان ثيوكيديدس أول من أشار إليها من المؤرخين حيث نجد لديه من الروايات التاريخية ما يشير إلى اعتقاده "بامكانية التكرار فى الشئون الإنسانية، ولكنه لم يتوسع فى شرح هذه الفكرة"(١٤٨) ومع ذلك فهى تمثل أحد جوانب فلسفته التاريخية.

واذا ما تركنا هؤلاء الأوائل من المؤرخين والفلاسفة، وانتقلنا إلى أفلاطون سنجد أنه قد توسع بشكل ملحوظ فى عرض فكرة دورانية التاريخ، وربما يكون مصدر هذه النظرية لديه تأثره بالفيثاغوريين حسبما يرى كامبل.(١٤٩)

لقد عرض أفلاطون لهذه النظرية فى أكثر من موضع فى محاوراته المختلفة . ففى محاورة "السياسى" يتحدث عن الدورات الزمانية المتعاقبة والمتكررة للكون. وقد كانت هذه الدورات تخضع فى البداية للاشراف الإلهى وتتم برعاية الإله، ثم أصبحت تتم برتابة معتادة يمارسها الكون بنفسه دون سلطة أخرى تشرف عليه مما تطلب فى نهاية الأمر أن يعود التدخل

الإلهى مرة أخرى لينظم الوجود ويصحح الأخطاء ويهب العالم الحياة الدائمة. وبالطبع فإن هذه الدورات التى جرت على الكون ككل جرت بنفس الطريقة على الأنسان.(١٥٠)

ان مايميز النظرية الدورية لأفلاطون هنا هو اصراره على تلك العناية الإلهية التى تجرى تحت اشرافها هذه الدورات التاريخية للعالم وللإنسان؛ فحينما يميل الكون بمن فيه نحو الانحراف والفوضى تعود العناية الإلهية إلى ممارسة دورها فى إعادة الأمر إلى نصابه!وفى محاورة "طيماوس" يقدم أفلاطون صورة أخرى من صور اعتقاده فى النظرية الدورية. حيث يروى على لسان كريتياس أن اليونانيين لا يعرفون حسب ما قاله الكاهن المصرى القديم لصولون، إلا أحدث صوره من الصور التى مرت على البشرية من تكون الحياه ونموها ثم انحطاطها! لقد روى كريتياس قصة التكوين الأول للعالم وهى صورة تكررت كثيرا فى مصر القديمة كما فى العالم اليونانى منذ فجر تاريخه القديم؛ فالتكوين يليه فى نهاية الدوره الفناء، وتتكرر الدورة حيث يبقى البعض على قيد الحياة ويبدأون من جديد فى تنظيم حياتهم وكأنهم كالأطفال الصغار الذين لايعرفون شيئا عن أى تاريخ قديم.(١٥١)

ويقدم أفلاطون فـى"القوانيـن" صـورة ثالثـه لاعتقـاده بهـذه النظرية الدورية فى تفسير التـاريخ الإنسـانى، وهـو يؤكـد فيهـا على دور التمسك بالفضيلـة وبـالعقيدة الدينيـة فـى بنـاء المجتمـع الإنسانى وتنظيم الدولة. ويوضح أن انهيار ذلك انما يكون حينما يتخلى الجميع حكاما ومحكومين عن الفضائل وحينمـا يتنـازلون عن تحقيق المثـل الأعلـى للإنسـانية. وضـرب المثـل علـى ذلـك بنظـام الملـوك الدوريين Dorian Kings؛ اذ لـم يكـن الجبـن أو الجهل بالأمور العسكرية أو بأى جانب آخر من القواعد الخاصة بهذه الموضوعات هو سبب زوال ملكهم، وانمـا يعـود ذلـك إلـى انحطاطهم العام وجهلهم على وجه الخصوص بـأهم وأعظـم مـا فى الحياة البشـرية. لقـد كـان ذلـك هـو مـاحدث فـى هذه الحالـة بالذات، وهو ماسيتكرر حدوثه دائمـا اذا مـاتكررت نفس الحالـة فيما بعد.(١٥٢)

واذا وضعنـا تلـك الرؤيـة الأفلاطونيـة للنظريـــة الدوريـة بصورها الثلاث فـى الإعتبـار لوجدنـا أن أفلاطـون كـان يمتلـك رؤية فلسفية للتاريخ قوامها مبادئ ثلاثة هى:

أولا: التسليم بالدورات المتعاقبة للأحداث التاريخية سواء فيما يتعلق بالعالم الطبيعى او فيما يتعلق بالشئون البشرية؛ فكل منها فى نظره تمر بدور تتكون فيه ثم تتطور لتصل إلى ذروة معينة ثم يطالها الفناء لتبدأ دورة جديدة وهكذا.

وقد تجلى وعى أفلاطون العقلى بهذا الأمر فى أوضح صوره حينما رسم معالم مدينته المثالية فى "الجمهورية"، تلك التى تتمثل فيها المبادئ المثالية فى الحكم وفى النظام الطبقى والتحلى بالفضائل فى أكمل صورة. ومع ذلك فإنه رأى أن حتمية التاريخ ستسرى يوما على هذا النظام وعندئذ سيتعرض للفساد؛ اذ على الرغم من "انه من العسير أن تتزعزع أركان دولة كهذه"(١٥٣) ويقصد بها الدولة المثالية، إلا أنه "لما كان كل مايكون معرضا للفساد فإن دستور- هذه المدينة - بدوره لن يدوم إلى الأبد، بل سيدب فيه الأنحلال".(١٥٤) ومن ثم يبدأ أفلاطون فى تعديد الأسباب التى ستؤدى إلى هذا الإنحلال، ثم يشرح كيف تتحول هذه الحكومة المثالية إلى صور متتالية لحكومات فاسدة هى على التوالى؛ الأرستقراطية الحربية، الأوليجاركية، الديمقراطية وحكومة الطغيان، وهو يوضح فى

ثانيا ذلك الأسباب الكامنة فى كل نوع من هذه الحكومات بحيث تؤدى حتما إلى تحولها إلى الصورة التاليه للحكم.

ثانياً: الاعتقاد فى العناية الإلهية كمبدأ يتحكم فى هذه الحتمية التاريخية؛ فأحداث التاريخ المتعاقبة سواء فيما يتعلق بشئون الطبيعة أو بشئون البشر لاتحدث بالصدفة، وانما هناك من يديرها جميعا. أنها لاتجرى إلا فى اطار قانون سماوى إلهى يوفر الشروط اللازمة للتكوين كما يهئ الشروط المحققة للفناء. وقد كان أفلاطون فيما أرى يميل إلى اعتبار أن خيرية الإله هى علة التكوين وسبب النظام، وأن الفوضى وارتباك الشئون البشرية انما يرد إلى خضوع البشر لنوازع نفوسهم وتحقيق رغباتها الشهوانية.

ثالثاً: ان التحلى بالفضيلة لدى الفرد وتحققها فى المجتمع انما يقود الناس إلى بناء نظام سياسى وحضارى ناجح يحقق السعادة للجميع حكاما ومحكومين، بينما التخلى عن الفضائل والحروب المستمرة سواء داخل نفس الفرد ذاته أو بين أفراد المجتمع ككل هو مايؤدى إلى الانحطاط

الأخلاقى وهو مايؤدى فى ذات الوقت إلى انهيار المجتمع بعد أن تتبدد طاقاته فى تلك الصراعات المدمرة.

ولعل ذلك هو مادعا أفلاطون إلى الحرص فى بناء دولته المثالية على الموازنة بين دور الفرد ودور المجتمع؛ فالفرد الماهر الصالح الخير لاتتضح صلاحيته ولا تظهر خيريته ومهارته إلا فى ضوء ما يؤديه من دور واضح فى خدمة مجتمعه. والمجتمع الصالح الخير لاتبدو صلاحيته إلا بما ينعكس على أفراده من سعادة دائمة وخير عميم.

ان فلسفة أفلاطون الإجتماعية من هذه الزاوية لم تكن ضد الفردية أو لم تكن دعوة إلى "تلاشى الفرد فى الكل الأكبر الذى يكون المجتمع الكامل" على حد تعبيرد.فؤاد زكريا،(١٥٥) بل كانت على العكس من ذلك دعوة للإصلاح الإجتماعى والسياسى لكى يصب ذلك فى حياة الفرد ويجعلها أكثر انسجاما وسعادة. ولما كانت العدالة الاجتماعية لاتتحقق إلا عبر تحقق العدالة داخل الفرد حسب التعبير الأفلاطونى، فإنه قد بدأ بالفرد وبتأكيد دوره فى ضبط نفسه وممارسة الفضيلة داخلها. وبالطبع فإن مجموع الأفراد الذين يحرصون على تحقيق العدالة داخل

نفوسهم بممارسة الفضائل المختلفة سيشكلون مجتمعا فاضلا مثاليا.

وعلى أية حال فإن السؤال عن من يكون أولا: الفرد أم المجتمع أشبه فيما يقول Carr بالسؤال عن الدجاجة والبيضة أيهما يكون أولا؟! فالفرد والمجتمع لا ينفصلان وكل منهما ضرورى للأخر؛ فالفرد ليس جزيرة قائمة بذاتها لأن كل انسان انما هو جزء من قارة أى جزء من الكل، وأى وجود انسانى فى أى مرحلة تاريخية أو حتى فيما قبل التاريخ يولد داخل مجتمع ومنذ سنوات عمره الأولى يتقولب داخل هذا المجتمع.(١٥٦) ويبدو أن أفلاطون كان واعيا بهذه الحقيقة ومن ثم حرص على بناء الدولة المتوازنة التى يتناغم فيها أداء الفرد مع الأداء الإجتماعى العام فتتحقق العدالة الإجتماعية المنشودة.

ولعل السؤال الذى قد يثار هنا: على أى شئ استند أفلاطون فى تقريره لهذه الصورة المثلى للدولة وفيما قدمه من تصور لاحتمال انهيارها؟!

هل على بعض حقائق التاريخ أم على تصور عقلى بحت لصعود الدول وانهيارها؟!

الحقيقة أن استخدام أفلاطون للمعلومات التاريخية كان شبه معدوم فى تأسيسه لتصوره المثالى للدولة؛ فقد كان يبنيها على غير مثال سابق! ولكنه فيما يخص رؤيته العامة لصعود الدول وانهيارها كان معنيا بمادة تاريخية معينة تكرر ذكر بعضها فى بعض كتابات الشعراء والمؤرخين السابقين وان تغلب على هذه المادة التاريخية التى استعان بها ما أضافه هو إليها من خياله؛ فلقد استخدم أفلاطون التاريخ فيما يقول باركر- مثلما استخدم الأساطير فى مجمل فلسفته- لكى يعزز به حجته. وكان اذا وجد أن التاريخ لايمده بالحجة يلجأ إلى تفسيره بطريقة تزوده بها ويغير من الحقائق أو يضيف إليها حسبما يريد.(١٥٧)

وبالطبع فإن أفلاطون لم يكن وحده فى ذلك الزمان الذى استخدم التاريخ كما يهوى؛ فمعظم خطباء أثينا كانوا لايكترثون كثيرا بالحقائق التاريخية عندما كانوا يستشهدون به، فمادة التاريخ لم تكن موضع دراسة فى التعليم اليونانى ، كما أن تاريخ اليونان نفسه فيما قبل القرن الخامس كان يعتمد على الروايات التى تتألف من أساطير وقصص.(١٥٨)

ومن جانب أخر فإن المادة التاريخيـة والتحقيق التـاريخى للحوادث انما يأتى فى المرتبة الثانية لدى فيلسوف التاريخ بشكل عام. ولن يكون أفلاطون بأفضل من هيجل؛ فالأخير عاش فـى عصر امتلك ناصية التاريخ ووجد فيه المؤرخون الثقـاة والمـادة التاريخية التى تتوافـر فيهـا الكثير مـن الشـروط الموضوعيـة . ومع ذلك فقد تجـاهل الكثير من الحقـائق التاريخيـة لكـى يرسـم صورة عقلية للتاريخ كما يـراه،(١٥٩) أمـا أفلاطـون فقـد عـاش فى عصر كان التاريخ العلمى فيه يبدأ أولى خطواته.

ويبـدو أن معالجـة أفلاطـون للتـاريخ من خــلال التفسـير الدورى كان سببا فى الشهرة التى نالها هـذا التفسـير وسـببا فـى شيوعه لدى مؤرخى وفلاسفة العصر الرومانى كذلـك؛ فهـا هـو بوليبيوس المؤرخ الشهير للدولة الرومانية والذى عاش فيما بيـن عـامى ٢٠٤و١٢٢ ق.م يسـتعرض تاريخهـا مـن خــلال هـذه النظرية حيث عرض لقيامها وأسباب قوتها ثم عاد فتوقع نهايتها اقتناعا منه "بوجود عملية دورية فـى التـاريخ"(١٦٠). وقد قـال فـى ذلـك: "تلـك هـى دورة الثـورة السياسية، فهـى السبيل الـذى عينته الطبيعة والذى به تتغـير الدسـاتير وتختفـى، ثـم تعـود فـى

النهاية إلى النقطة التى بدأت منهـا. أجـل ان كـل مـن أدرك هـذا بوضوح ربما ستستغرقه العملية. ولكـن اذا لـم تفسـد العـداوة أو الحسد عليه حكمه، فإنه قلما أخطأ في تحديد الشكل الذى ستتغير إليه الدولة. وستمكننا هذه الطريقة عنـد اسـتخدامها بخاصـة فـى حالة الدولة الرومانية من الوصول إلى معرفـة بطريقـة تكوينهـا ونموها ومضيها إلى أعظم الكمال. وتعرفنا بالمثل بـالتغيير إلـى الأسوأ الذى لابد أن يعقب ذلك فى يوم من الأيام. وذلك أنه كمـا تكونت هذه الدولة بصورة طبيعية اكثر من جميع الدولة الأخرى ونمت نموا طبيعيا سيمر بها اضمحلال طبيعـى ثـم تتحـول إلـى نقيض ما كانت عليه". (١٦١)

وقد بلغت النظرية الدورية قمتها فـى الفكـر اليونـانى عنـد الفلاسفة الرواقيين الذيـن اعتـبروا أن تـاريخ العـالم يعد مظهـرا للعقل Logos أو للنـار التـى هـى لوجـوس العـالم وعلتـه الأولـى والوحيدة.ان حقيقة العالم لديهم تبدو فى "ذلك العقـل الكلـى الـذى وقعت بموجبـه .الأحـداث الماضيـة، وتقـع الأحـداث الحـاضرة، وستقع بموجبه أيضا الأحـداث المسـتقبله".(١٦٢) فتـاريخ العـالم سلسـلة لانهايـة لهـا مـن الـولادة والفنـاء(١٦٣) وكـل موجوداتـه

وأشيائه انما تنتج من هذه القوة العاقلة التى تتخللـة.(١٦٤). انـه لايفنـى بعـد الاحـتراق اذ تكـون الغلبـة للأثـير علـى العنـاصر الأخرى التى تخضع لذلك الناموس الإلهى، فينشأ بعد ذلـك عـالم جديد لكنه شبيه لسابقه من جميع الوجوه فهو بمثابة البعث للعـالم الأول حيث تمر به عين الأحداث ويعيش فيـه عين الأشـخاص فى العالم السابق من غير تبديل.(١٦٥)

انهم يؤمنون بأن تاريخ العالم بدوراته المتعـددة اللانهائيـة انما تجرى بموجـب قـانون محـدد للعنايـة الإلهيـة(القـدر)، وهـذه العناية الإلهية خيرة دائما ومبرأة من أى شـئ، وان كـان بالعـالم أى شر فإنه موجود كضـد للخـير؛ فالإلـه خير لايريـد إلا خـيرا ولكن تحقيق الخير قد يستلزم وسائل قد لا تكون خـيره من كـل الوجوه. أما الشر الأخلاقى أو الخطيئة فهم يردونها إلـى فاعلهـا أى إلى الانسان. ومن هنا جاء اعتقادهم بحريـة الفعـل الإنسـانى وحـاولوا التوفيق بينها وبيـن قـوة القـدر أو الضـرورة الخارجيـة مستندين على أننا كأفراد نختلـف فـى ممارستنا الأخلاقيـة رغـم وجودنا أحيانا فى نفس الظروف، وعلـى أننـا نجهـل العلـة التـى تحتم الفعل، فالفعل اذن بالنسبة إلى الإنسان غير محتوم ومن ثـم

فعلينا "أن نعمل وكأننا أحرار". ان الرواقيين وخاصة المتأخرين منهم يؤمنون عادة بأن الحياة الإنسانية أشبه بمسرحية كتب على الإنسان فيها دورا عليه أن يؤديه، ففى هذا تحقيق للعدالة الإلهية التى أتت بالإنسان إلى العالم وهى التى تأخذه منه وقتما تشاء.(١٦٧)

ان النظرية الدورية فى تفسير التاريخ الإنسانى تبلغ ذروتها فى الفلسفة الرواقية عند الأمبراطور ماركوس أوريليوس (١٢١-١٨٠م) الذى كان أخر فلاسفتها الكبار.(١٦٨) فقد كتب أوريليوس كتابه الشهير التأملات Meditations متضمنا فى معظم فصوله تلك الرؤية الرواقية للعالم على أنه فى مجموعه متضمن فى عملية "دور". وقد امتاز عن سابقيه بأن طبق هذه الرؤية على التاريخ الإنسانى.(١٦٩)

لقد أكد أوريليوس بداية على أن خط سير الطبيعة ظل واحدا لايتغير منذ الأزل وأن كل شئ يظهر فى دائرة، وأن هذا العالم نفسه يعيش بالتغيرات المستمرة التى لاتلم بالعناصر فحسب، بل بتلك الأشياء التى تتكون من تلك العناصر فى دورة مستديمة من تعاقب التولد والتحلل.(١٧٠) أنه "يذكر دائما قول

هيراقليطس" أن الأرض تموت لتصبح ماءً. وأن موت الماء ليصبح هواءً، وأن موت الهواء ليصبح نارا والعكس بالعكس"(١٧١)، وعلى نفس النحو يحدث التغير والتكرار فى أحداث التاريخ الإنسانى "اذ يحدث التكرار دائما فى ثنايا تغيرات التاريخ، والتاريخ هو هو لا يتغير على الدوام من حيث طبيعة محتوياته.... فمن شهد العصر الحاضر فقد رأى كل شئ كان دائما أو سيكون إلى الأبد؛ ذلك أن الأشياء مضت على الدوام فى سبيلها وستمضى دائما على طريقتها المتسقة المتماثلة. وعموما فإنك لو قلبت الفكر فيما يجرى حولك وجدت أن جميع أحداث العصر الحالى هى نفسها التى تمتلئ بها تواريخ كل عصر فلا جديد هناك"(١٧٢) اذ " يمكنك أن تشهد أن الناس فى كل عصر يتزاوجون وينجبون الأطفال، يمرضون، يحتضرون، يتقاتلون، يحتفلون بالأعياد، يتاجرون، يزرعون الأرض، يتمنون الموت لبعضهم البعض، يتمردون على حاضرهم، يحبون .... لقد فعلوا ذلك فى عهد فسباسيان وتحركت بهم الحياة إلى عصر تراجان. وتكررت نفس الأشياء وبنفس الطريقة ستمضى الحياة فى أى عصر آخر".(١٧٣)

ولذلك فإن ماركوس يخاطب نفسه قائلا "استعرض ببصيرتك بلاط هادريان بأكمله أو بلاط أنطونيوس أو فيليب المقدونى........ ستجد أنها جميعا تماثل ماالديك من دراما وان اختلف الممثلون فى كل دراما"،(١٧٤) فكأن طول الحياة اذن مسألة غير ذات وزن بالنسبة لأى انسان لأنه سواء لديه"أشهد هذا المشهد مدة مائة سنة أو مائة ألف سنة فإن نهاية كل شئ واحدة بلاتغير"(١٧٥)، "فالتاريخ كالنهر تتدافع أحداثه كتيار جارف لأنه بمجرد أن ترى شيئا قد حدث، يحمله تيار الزمن بعيدا ويحل الآخر محله وهو الذى سيحمل بعيدا أيضا"(١٧٦)، "فكل شئ يحدث متكرر ومعروف كوردة الربيع، وكفاكهة الصيف"(١٧٧)، "وكل قطع البخور فى نفس الهيكل، واحدة تسقط قبل الأخرى وأخرى تسقط بعد الأخرى... ولكنهم يفعلون نفس الشئ".(١٧٨)

ولعل سائل يسأل الأن عن دور الفرد فى التاريخ فى ظل هذا الإيمان الصارم لأوريليوس بهذه الحتمية التاريخية؟!

الحقيقة أن الفاعلية الفردية فى التاريخ لايكاد يكون لها أى دور حقيقى فى التاريخ اللهم إلا اذا توافق هذا الدور مع ما

ترسمه العناية الإلهية للفرد من دور محدد اذ ينصحنا أوريليوس بأن "لاتفعل أى فعل بدون غاية. وهذه الغاية ينبغى أن تتوافق مع المبادئ الكاملة للحياة"(١٧٩). وهو يضرب المثل بنفسه حيث يقول "أنه قد توافق مع كل شئ، وان كل شئ قد انسجم معه؛ فلا شئ فى العالم بالنسبة له يأتى مبكراً أو متأخرا عن موعده. فكل شئ يلائمه طالما تأتى به الطبيعة فى موعده".(١٨٠)

لقد سلم ماركوس أوريليوس – على حد تعبير ويدجرى– بآراء ثلاثة محتملة حول الأسباب النهائية لأحداث التاريخ؛(١) ان كل شئ وليد الصدفة المحضة،(٢) أن كل شئ تحدده "ضرورة محتومة"(٣) أن كل شئ باستثناء ما يعود إلى حرية الإنسان يرتكن إلى "عناية" شفوقة رحيمة حسنة.وقد تبنى الرأى الأخير(١٨١)، مع التأكيد على أن حرية الانسان لاينبغى أن تكون مطية لأن يرتكب الفرد ما يخالف هذه العناية الإلهية أو ما يتعارض مع القدر المحتوم لأن الفرد لن يستطيع ذلك من ناحية ومن ناحية أخرى فإن محاولته هذه ستضعه ضمن قائمة الأشرار الذين تغيب عنهم الحكمة الكلية للطبيعة فيتصرفون

وكأنهم مركز الوجود فتنحرف ميولهم عن جادة الصواب ويعارضون الخير الكلى بأشباح من الخيرات الجزئية أو المنافع المؤقتة التى تعرضهم فى النهاية للكثير من الهموم والآلام.(١٨٢)

ان الحرية الحقيقية للحكيم الرواقى تكمن فى أن تتوافق أفعاله مع الغايات النهائية للعالم، فهو يحتفظ بحريته ازاء ذلك القدر المحتوم اذا ما اختاره اختيارا حينما يدرك أنه قدره "فالعقل والتفكير العقلى الفلسفى - على حد تعبير ماركوس- هى قوى الإنسان التى تكفى نفسها وهى قادرة على توجيه فعله. انها تحرك الإنسان وفق المبدأ الأول الذى أتت منه وتوجهه نحو تحقيق الهدف الذى حدد له من قبل فتكون النتيجة المترتبة على ذلك أن كل الأفعال يمكن أن توصف بأنها صحيحة، وأننا نسير قدما فى الطريق الصحيح".(١٨٣)

وفى ضوء ماسبق يمكن أن نلخص النظرية الرواقية فى تفسيرها الدورى للتاريخ فى ثلاثة مبادئ رئيسية؛ أولها : أن التاريخ الإنسانى انما هو جزء لايتجزأ من مجمل النظام الطبيعى، وكلاهما يسير على نحو دورى متكرر فى دورات

متعاقبة من الولادة والنمو والفناء. وأن حياة أى إنسان فرد مهما طالت أوقصرت انما هى نموذج يتكرر لحياة البشر أجمعين فى أى عصر وأى مكان!

ثانيها: أن هذا التاريخ الإنسانى بدوراته المتعاقبة انما يجرى وفقا لقانون الهى أو عقل إلهى Logos ينظمه ويتحكم فيه. وهذا اللوجوس الإلهى هو الضامن لتحقيق العدالة النهائية فى التاريخ سواء فى تاريخ العالم أو فى تاريخ الحضارات. وخيرية التاريخ لاتبدو بالنسبة للأفراد إلا حينما تتوافق أفعالهم مع هذه الارادة الإلهية العاقلة التى تتمثل فيها ولديها الغايات النهائية للتاريخ.

وثالثها: أن الأساس الجوهرى لسعادة الإنسان الفرد – فى ظل هذه العقلانية الإلهية الماثلة فى التاريخ والتى تمثل رمز الضرورة فيه – يكمن فى احترام الذات والتحلى بالفضائل. فرغم أهمية الفرد فى التاريخ إلا أن أهميته لاتبدو إلا فى أدائه لواجباته الإجتماعية حسب ما هو مكلف به من نشاط خلق لأدائه. فكل المواطنين زملاء فى دولة واحدة. ومن ثم فإن أول واجبات المواطن الفرد وأهمها جميعا هو خدمة المجتمع

والمشاركة فى تحمل أعبائه وتهذيبه. (١٨٤) وفى أدائه لهذه الواجبات متحليا بالفضيلة تكمن سعادته وشعوره بالرضا التام عن وجوده الفردى الذى نجح فى الأنسجام مع الغايات النهائية للعالم.

ان هذه المبادئ الثلاثة التى تستند عليها النظرية الرواقية فى التفسير الدورى للتاريخ تكاد تتشابه فى مجملها مع مثيلتها عند أفلاطون رغم اختلاف الأسس الفلسفية والمعرفية التى تستند عليها النظرية الدورية عند كليهما، ورغم اختلاف المصطلحات التى عبر بها أفلاطون عن نظريته، عن المصطلحات التى عبر بها الرواقيون عن رؤيتهم.

ومع ذلك فهناك فروق دقيقة بينهما تبدو حين النظر فى التفاصيل؛ فأفلاطون كان ينظر إلى التاريخ الإنسانى تلك النظرة الدورية رغم إعتقاده بالثبات المطلق للحقائق والثبات المطلق للعالم الإلهى الذى هو "عالم المثل" ومثال "الخير" على قمته، بينما اعتبر الرواقيون بأن لاتمايز أو انفصال بين العالم الإلهى والعالم الطبيعى فهما وجهان لنفس العملة؛ فإله الرواقيين "لم يكن فى لامبالاة صورة الصور عند أرسطو أو مثال الخير

الأفلاطونى بل كان عقلا يحيا فى مجتمع البشر ويعنى بـأمورهم ويصرفها ولم يعد الغريب المتجول خارج العالم بل كان يسرى فى كل أجزائه ويتجلى فى النظام والتدبير الذى لايترك صغيرة ولا كبيرة إلا قدرها وعنى بهـا".(١٨٥) وهكـذا فـإن النظـام الميتافيزيقى للرواقيين والذى استندت عليه رؤيتهم للتـاريخ كـان على النقيض من النظامين الأفلاطونى والأرسطى، فهو يرتكـز على الاعتقاد فى وحدة العلة النهائية للعـالم التـى ينبـع منهـا كـل النظام القائم فيه. لقد كان فكرهم الميتـافيزيقى اذن فكـرا واحديـا Monistic (١٨٦) بينمـا كـان فكـر أفلاطـون ثنائيـا يمـيز بيـن الإله والعالم.

وقـد ألقـى الاختـلاف فـى الـرؤى الميتافيزيقيـة لأفلاطـون والرواقيين بظلاله على رؤيتهم للتـاريخ الأنسـانى ودور الأفـراد فيه؛ فبينما وجدنا أن أفلاطون كان أميل الـى الإقـرار بنـوع مـن التوازن بين دور الفرد ودور المجتمع، فإن الرواقيين كانوا أميل إلـى سـحق دور الفـرد وإلـى اعتبـاره أشـبه بآلـة فـى يـد العنايـة الإلهية، أو مجرد ألعوبة فى يد القدر اللهم إلا اذا اختـار بإرادتـه أن يتصـرف وفقا لماتمليه عليه هذه الإرادة!.وفى هذا دور كبير

اذ كيف يتسق اختيارى للفعل مع كونه مفروضا على سواء أردت أم لم أرد!! ومن جانب أخر، فإن أفلاطون كان يرى أن سعادة الفرد تنبع من داخله ومن قدرته على تحقيق العدالة داخل ذاته بإقامة ذلك التوازن بين قوى نفسه حينما تحقق كل قوة منها وظيفتها متحلية بفضيلتها الخاصة، بينما تتحقق سعادة الفرد عند الرواقيين من توافق ارادته الفردية مع الإرادة العاقلة (أى مع ارادة القدر والعناية الإلهية) للكون ككل وإنسجامه معها!

خاتمـــة:

لعلنا بعد هذه القراءة لما كان يـدور فـى أذهـان اليونـانيين من أراء حول التاريخ نكون قد أوضحنا أن لديهم علمـا للتـاريخ ورؤى فلسفية واضحة حوله واذا كان البعض لايزال يحتج على تدنى مكانة البحث التـاريخى عندهـم مـن المقارنـة التـى أجراهـا أرسطو فى كتابه "فن الشعر" بين الشعر والتاريخ، تلك المقارنـة التى فضل فيها الشـعر علـى التـاريخ باعتبـاره "أوفـر حظـا مـن الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ لأنه يروى الكلى بينما التـاريخ يروى الجزئى"(١٨٧)، فإن هذه المقارنة انما تؤكد وعى أرسطو بمدى علمية علم التاريخ، فعلميته تكمن فى تركيز المؤرخ علـى رواية الأحداث الجزئية والتحقق من صحتها.

ومن جانب آخر فإن هذه المفاضلة التـى أجراهـا أرسـطو بيـن مكانـة التـاريخ ومكانـة الشـعر انمـا تنطلـق مـن رؤيتـه الميتافيزيقيـة الخاصـة بتفضيـل تلـك العلـوم التـى تبحـث فـى الكلـى.(١٨٨) وهـذه الرؤيـة رغـم أنهـا لاتتحـدث عـن التـاريخ صراحة كأحد العلوم سواء النظريـة أو العمليـة، إلا أنهـا لاتنفـى كون التاريخ أحد مايمكن أن نطلق عليه علما؛"فالعلم -فيما يقـول

أرسطو ـ هو بالنسبة للعقل ملكة ايضاح الأشياء على طريقة منظمة. فإذا اعتقد المرء عقيدة إلى أى درجة ما وكان يعلم الأصول التى اعتقد بواسطتها فإنه اذن حاصل على العلم".(١٨٩)

ولاشك أن المؤرخ من أولئك الذين يعتقدون اعتقادات معينة حول الأحداث التاريخية ويحاول رصدها والوصول إلى عللها. وهو يحقق قول ارسطو فى موضع أخر أن على المرء أن لايظن أبدا أنه "قد علم شيئا إلا متى علم علله ومبادئه الأولى حتى عناصره".(١٩٠)

وعلى ذلك فإن المؤرخ يحقق ما يشترطه أرسطو فى العالم، ومن ثم فإن الموضوع الدى يبحثه المؤرخ يدخل ضمن دائرة العلوم. ان أرسطو اذن لم ينكر التاريخ كعلم.

وليس أدل على احترام أرسطو للتاريخ وعلى وعيه بأهميته من أنه استند على أكبر كم من المعلومات التاريخية ليؤكد صدق وجهة نظرة فى هذه المسالة أو تلك من المسائل الشائكة فى علم السياسة أو فى غيره من العلوم لدرجة جعلت بارتلمى سانتهلير وهو أحد شراحه المعاصرين الكبار يقول فى

تقديمه لكتاب "السياسة" لأرسطو "أن المثل الأعلى وأعنى به العقل لم يشغل ماينبغى أن يشغله من المحل فى سياسة أرسطو. وأما التاريخ فله منها محل أعظم مما ينبغى".(١٩١)

وعلى كل حال، فإنه قد تأكد لنا من قبل أن التاريخ كعلم قد تأسس عند اليونان قبل أرسطو بأكثر من قرن من الزمان على يد هيرودوت وثيوكيديدس، كما تدعم وجوده وبلغ درجة كبيرة من النضج العلمى بعد أرسطو. وتم ذلك على يد بوليبيوس الذى امتلك رؤية واضحة المعالم لمعنى التاريخ ووظيفته ولدور المؤرخ وشروط التاريخ العلمى.

وانظر معى فى قوله" أن وظيفة التاريخ فى المحل الأول أن يحقق العبارات الدقيقة التى قيلت بالفعل مهما كانت هذه العبارات، وفى المحل الثانى أن يتحرى السبب الذى توج الحدث الذى تم أو العبارات التى قيلت بنجاح أو فشل. إن صياغة الوقائع عارية هى فى حد ذاتها متعة دون أن تكون فيها قيمة تثقيفية، بينما يحيل الشرح الإضافى للسبب من دراسة التاريخ عملا مثمرا. فالتحليلات التى يمكن أن تستخلص من مواقف تماثل مواقفنا تقدم مواد وافتراضات للتنبؤ بالمستقبل فيما يتعلق

بتلك المواقف التى تكون بمثابة النذير، بينما تشجعنا فـى فترات أخرى بأن نبدى جسارة فى الأحداث المقبلة بموجب موازنة تاريخية".(١٩٢)

أن بولييبوس هنا لم يحدد وظيفة التاريخ والمؤرخ فقط، بل قدم لنا رؤيته حول منفعة التاريخ التى تتمثل فى قدرة من يتأمل أحداثه ويوازن بينها على التنبؤ بالمستقبل والحذر من أحداثه أو الدخول فى صنع هذه الأحداث بشجاعة وجسارة.

لقد تجلت عبقرية بولييبوس التأريخية كذلك فى تحديده للمنهج الذى ينبغى للمؤرخ أن يتبعه حتى تأتى روايته للأحداث موضوعية وبعيدة عن التأثر بشخصيته وبآرائه كمؤرخ.(١٩٣) وكذلك فى ادراكه أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث الجزئية وفى مطالبته للمؤرخ أن يحاول الوصول إلى ادراك الأسباب الجوهرية البعيدة لهذه الأحداث.(١٩٤) فالتأريخ الأفضل عنده هو التأريخ الشامل للأحداث.(١٩٥)

ولاشك أن بولييبوس قد استفاد فى كل ذلك من اطلاعه الواسع على الفلسفة اليونانية وبالذات على مؤلفات أرسطو المنطقية والعلمية؛ فقد تعلم منها كيفية الأنتقال من استقراء

الجزئيات عبر الحواس والنظر فى الأحداث الواقعية، إلى استخلاص القوانين الكلية والمعرفة الشاملة باستخدام الإستدلال العقلى القادر على استنباط النتائج من المقدمات. كما تعلم منها أيضا أنه يمكن الأنتقال عبر هذا وذاك إلى نوع من الحدس العقلى الذى يتمكن المؤرخ من خلاله -اذا ما أنعم التأمل والنظر فى الأحداث التاريخية فى تتابعها وتماثلها- من التنبؤ بأحداث تاريخية قد تقع فى المستقبل.

واذا كان التأريخ عند اليونان قد بلغ ذروته عند بوليبيوس، فإن النقد التاريخى قد بدأ على استحياء فى عمل المؤرخين اليونان منذ ثيوكيديدس حتى بوليبيوس وان كان قد بلغ قمته على يد مؤرخ آخر عاش بعده يدعى ديونسيوس الهاليكارناسى Dionysius of Halicarnasuss وكان من مؤرخى النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد.(١٩٦)

ان ديونسيوس يقدم موازنة نقدية لتاريخ هيرودوت وتاريخ ثيوكيديدس فى ضوء رؤيته التأريخية شديدة النضوج والعمق لما ينبغى أن يكون عليه عمل المؤرخ وواجباته؛ اذ على المؤرخ أولاً أن يختار موضوعا جيدا يجلب المتعة

لقرائه"(١٩٧). وعليه ثانيا "أن يرسى البداية والنهاية"(١٩٨) بوضوح لعمله التاريخي، وعليه ثالثا "أن يضع فى اعتباره ماينبغى أن يشتمل عليه بحثه وما ينبغى أن يتغاضى عنه"(١٩٩) وعليه رابعا "أن يقوم بجمع وترتيب مادته"(٢٠٠) التاريخية. وبعد كل ذلك يمكنه أن يبدأ كتابة تأريخه للأحداث متمثلا تلك المبادئ جميعا ويفضل أن يكتب تأريخه فى ضوء غايات أخلاقية محددة؛ اذ على المؤرخ مثلا"أن يبتهج للخير ويمقت الشر"(٢٠١)

ان هذه المبادئ هى فى نظر ديونسيوس مايميز المؤرخ الحقيقى عن بعض المؤرخين الهواة،(٢٠٢) فضلا عن أنها المبادئ التى يستند عليها القائمون على النقد التاريخى فى الموازنة بين عمل مؤرخ وآخر.

واذاكان هذا هو مبلغ نضج الوعى التاريخى لدى المؤرخين اليونان، فإنه لم يكن ممكنا لهم أن يؤسسوا هذا الوعى بعلم التاريخ ولا أن يطوروه على النحو الذى تم بدون التأثر بالفلسفة وبالفلاسفة الذين كانوا أول من أوضح كيف يتم تناول أى أمر بالبحث سواء بشكل تطبيقى عملى تمثل فيما قدموه من

فلسفات طبيعية أو بشكل نظرى تمثل فيما قدموه من نظريات في المعرفة وفى مناهج البحث العلمى.

ومن جانب آخر فإنه لم يكن ممكنا لهذا الوعى التاريخى عند اليونان أن ينتقل من التاريخ إلى فلسفة التاريخ بدون تلك الرؤى الفلسفية الشاملة التى قدمها الفلاسفة فى تفسير نشأة الوجود والعالم الطبيعى؛ تلك الرؤى التى اما تضمنت رؤية فلسفية معينة للتاريخ، أو قدم الفلاسفة من خلالها واستنادا إليها نظريات واضحة المعالم فى تفسير التاريخ الإنسانى مثلما وجدنا ذلك فى نظرية التقدم لدى كلا من بروتاجوراس وأبيقور وسينكا، أو فى نظرية التفسير الدورى للتاريخ كما بدت فى أعمال أفلاطون وفلاسفة الرواق خاصة ماركوس أوريليوس.

ان هذه النظريات فى تفسير التاريخ تمثل بلاشك الأصول الأولى لمثيلاتها لدى فلاسفة التاريخ المحدثين والمعاصرين. وتعبر دون أدنى شك عن أن لليونانيين رؤيتهم التاريخية وأنهم نجحوا إلى حد بعيد فى تقديم الأسس الأولى لعلم وفلسفة التاريخ.



هوامش الكتاب

(١) أنظر: ر.ج كولنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ص ص ٣٠ـ٤٤

وأنظر كذلك: د. أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٥م،ص ص ١٢٣-١٣١.

(٢) لقد أصدر العلامة أرنولدتوينبي كتابا بعنوان"الفكر التاريخي عند الإغريق"، لكنه اقتصر فيه على ترجمة للنصوص التاريخية التي تعبر عن وعيهم بمعنى التاريخ وطبيعته.كما تعبر عن ادراكهم لبعض المبادئ الفلسفية المفسرة للتاريخ.

وبالطبع فقد بذل توينبي جهدا كبيرا في اختيار هذه النصوص وفي ترجمتها وان كان قد تركها دون تحليل. ولاشك أننا سنعتمد على الكثير منها في هذا البحث.

(٣) أنظر Carr (E.N):What is history,penguin Books, New York 1980, P.109.

حيث يقول بالإضافة إلى ذلك محاولا التأكيد على صحة ماذهب إليه:"أن هيرودوت أبو التأريخ كان لديه قدرا من الطفولية، وأن كتاب العصر القديم في مجموعهم كانوا مهتمين بالمستقبل اكثر من اهتمامهم بالماضي".

(٤) أنظر: ر.ج كولنجوود: نفس المرجع السابق،ص٦٠.
حيث يقول: أن التفكير الميتافيزيقى اليونانى يتعارض مع التاريخ نظرا لأن التاريخ يعالج أحداثا متغيرة بينما يبحث الميتافيزيقيون عن الثابت فالأحداث المتغيرة فى نظرهم غير قابلة لأن تعرف ومن ثم يجب أن يكون التاريخ محالا!

(٥) تلك مقولة أطلقها نيقتاس الخونياتي أحد مؤرخى القرن الثانى عشر الميلادى وقد نقلناها عن: د.رأفت عبد الحميد فى بحثه عن: ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمنى، مجلة كلية الآداب، العدد الثانى، منشورات جامعة صنعاء، اليمن مارس ١٩٨١م، ص ١٥١

(٦) لانجلوا وسينوبوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية ترجمة د. عبدالرحمن بدوى ضمن كتابه "النقد التاريخى"،دار النهضة العربية، القاهرة١٩٧٠م، ص ٣٣.

(٧) انظر: د.عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم- الجزء الأول (مصروالعراق)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٣٦٣.

لقد شهدت مصر فى ذلك العصر تدهورا شديدا فى كل جوانب الحياة ، ووصف ايبوور هذا التدهور اجمالاً بقوله "ان كل شئ قد آل إلى الفوضى، فالحكومة قد وقفت حركتها تقريبا. وقوانين العدل قد ألقى بها ظهريا فصارت تدوسها الناس بالأقدام فى المحال العامة، والفقراء يفضونها على قارعة الطريق".

أما تعليله لهذه الحالة من سوء النظام السياسي والإجتماعي فهو ذلك الانحلال الأخلاقي المتمثل في الحروب الدائرة بين الأفراد "فالرجل يضرب أخاه من أمه. والرجل يذبح بجانب أخيه في حين أن أخاه يتركه حتى ينجو هو بنفسه، والرجل ينظر إلي ابنه نظرته إلى عدوه. ويذهب الرجل إلى الجرث والبزرع وهو مسلح بدرعه". ويضاف إلى هذا الإنهيار الداخلي سبب خارجي هو الغارات الأجنبيةعلى البلاد بحيث أصبح أهلها"غير قادرين على صد غزوات الآسيويين عن حدود شرق الدلتا".

(هذه النصوص لايبوور نقلا عن: برستيد (ج.هـ): فجرالضمير، ترجمة د.سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٨_٢٠٩)

(٨) د.حسن شحاته سعفان: كونفوشيوس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة بدون تاريخ، ص ١٩

(٩) أنظر: Raymond Dawson: Confucius,Oxford Unversity press,London 1981,p.3.

وأيضاً Ch'uchai &Winberg Chai,Confucianism. Barron's Educational series,inc.Woodbury,New York 1973.P.31

(١٠) ألبان ج ويدجرى: التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م،ص٧.

(١١) أنظر: Ch'u chai & Winberg Chai,Op.Cit.,P.36

حيث يشرح المؤلفان مفهوم الجين Jen عند كونفشيوس على أساس قوله "ان رجل الجين Jen هو الراغب فى أن يبنى نفسه، وفى الوقت الذى يعمل فيه على ذلك لنفسه، يعمل نفس الشئ بالنسبة للآخرين؛ ففى الوقت الذى يبحث فيه عن النجاح لنفسه يساعد الآخرين على النجاح أيضا".

(١٢) أنظر: آلبان ويدجرى: نفس المرجع السابق، ص ١٤

وراجع: كتاب التاو (الطريق والفضيلة) لمؤلفة لاوتسى: ترجمة ودراسة هادى العلوى، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، الفقرات ٣٢،٣٧،٥٦،٦٣، ص ٨٨،٩٢،١٠٨،١١٥على التوالى.

(١٣) هوميروس: الالياذة، ترجمة عنبرة سلام الخالدى، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، (مقدمة المترجمة ص ٩،١٠)

(١٤) أنظر: د.محمد صقر خفاجه: هوميروس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٦-١٩.

(١٥) ارنولد توينبى: الفكر التاريخى عند الأغريق، ترجمة لمعى المطيعى- مراجعة د. محمد صقر خفاجه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦م، ص٩.

(١٦) عنبره سلام الخالدى (مترجم) : هوميروس "الإلياذة " ص ١٠ من المقدمة.

(١٧) د. محمد صقر خفاجه: نفس المرجع السابق، ص ٥٦-٥٧.

(١٨) هوميروس: الأوديسا (٥:٣٩٤-٣٩٧)، نقلا عن د. محمد صقر خفاجه، نفس المرجع، ص ٥٧.

(١٩) هوميروس: نفس المصدر(١٦:١٧-١٩)، نقلا عن نفس المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢٠) هوميروس: الإلياذة (١٧:٥٣-٥٥)، نقلا عن نفس المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢١) هوميروس: الأوديسا(٢٣:٢٣٣-٢٣٥)، نقلا عن نفس المرجع، ص ٥٨.

(٢٢) هوميروس: الإلياذة (١٥:٦٢٤-٦٢٨)، نقلا عن نفس المرجع، ص ٥٨.

(٢٣) نفس المصدر(١١:٨٦-٨٩)، نقلا عن نفس المرجع السابق، ص٥٨.

(٢٤) هوميروس: الأوديسا(١٣:٣١-٣٤)، نقلا عن نفس المرجع، ص٥٨.

(٢٥)هوميروس: الإلياذة (١١:٦٧-٦٩)، نقلا عن نفس المرجع، ص ٥٨.

(٢٦) د.محمد صقر خفاجه: نفس المرجع السابق، ص٥٩ وهامشها.

(٢٧) هوميروس: الأوديسا (١٧-٣٢٢) نقلا عن نفس المرجع السابق ص ٥٩.

(٢٨) لقد كان من أفضال هوميروس فى هذا الأمر أنه قام بتمجيد هؤلاء الأسلاف بانصاف وموضوعية؛ فقد تغنى بأمجاد الطرواديين كما تغنى بأمجاد الآخيين، فامتدح أمجاد هكتور بنفس القدر الذى امتدح به أمجاد آخيل. وهذا هو نفس ما سيفعله هيرودوت الذى أقدم على

تدوين التاريخ حتى لا تحرم مآثر اليونان والبرابرة العظيمة من نصيبها في المجد.(حنه آرنت: بين الماضي والمستقبل، ترجمة عبد الرحمن بشناق، مراجعة د.زكريا ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٥٦.)

وبالطبع فإن هيرودوت ربما فعل ذلك متأثرا بهوميروس.

(٢٩) أفلاطون: ايون أو عن الإلياذه، ترجمة د. محمد صقر خفاجه ود.سهير القلماوى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦م، ٥٣٥أ- ص٤٠.

(٣٠) أنظر: هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤)، ص١٨.

وأنظر كذلك: د.محمد جمال الدين مختار: مصادر التاريخ الفرعونى، نشر ضمن كتاب : تاريخ الحضارة المصرية- العصر الفرعونى، تأليف نخبة من العلماء، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ، ص٨١.

(٣١) هرنشو: نفس المرجع السابق، ص١٨.

(٣٢) هذا التاريخ تاريخ تقريبى نظرا لأنه من الصعوبة معرفة أى شئ مؤكد عن حياة هيرودوت؛ فهناك روايات أخرى تقول أنه ولد فيما بين عامى ٤٩٠و٤٨٠ق.م.

(أنظر: Aubrey de Selincourt (Translator) Herodotus, The Histories, Penguin Books.U.S.A. 1963,Introduction P.7.)

وهناك من يقولون أنــه ولـد قبـل ذلـك وتحديدا فـى عـام ٤٩٥ ق.م
(أنظر: ارنولد توينبى: الفكر التاريخى عند الإغريق، ص٣٥).

(٣٣) Carr(E.H.) Op.cit.,P.33.

(٣٤) لانجلوا وسينوبوس: نفس المرجع السابق، ص ١٧.

(٣٥) أنظر: Osborn, (E.B.):Our debt to greece and Rome, Hodder and Stoughton, London, without date,P.3.
وأيضا: ر.ج كولنجوود: فكرة التاريخ، ص ٥٨.
وكذلك: هرنشو:علم التاريخ،١٨.

(٣٦) Herodotus: The histories (B.I),English Trans.by Aubrey de Selincourt,P.13

(٣٧) هيرودوت: هيرودوت فى مصر، نقله عن اليونانية وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٦م،(فقره ٤٣،٤٤)، ص ٥٢-٥٤.
وراجع نفس المواضع فى الترجمة الأنجليزية:
Herodotus:TheHistories(B.2-43-44)Eng.Trans.P.119-120

(٣٨) أنظـر: هـيرودوت فـى مصـر (١١٦)، ص ٩٤-٩٥ مـن الترجمــة العربية.
وراجع: Herodotus:TheHistories(B.2-113-119) Eng. Trans, P.143-146.

(٤٠) أنظر: هيرودوت فى مصر (١١٥)، الترجمة العربية ص ٩٤.
وأيضا: Herodotus:TheHistories (B.2-115), Eng.Trans.P.144.

(٤١) أنظر هذه الأدلة فى : هيرودوت فى مصر (١٢٠)، الترجمة العربية ص ٩٨.

وأيضا: Herodotus:TheHistorics(B.2-120).Eng.trans.P.146-147.

(٤٢) جورج سارتون: تاريخ العلم- الجزء الثانى، ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م، ص ١٦٤.

(٤٣) Osborn(E.B.):Ourdebt toGreece and Rome,P.34.

(٤٤) جورج سارتون: نفس المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٤٥) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة- الحضارة الإغريقية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٢٣.

وراجع النصوص المتفرقة التى اوردها توينبى فى كتابه "الفكر التاريخى عند الإغريق"، وهى تشير إلى محاولة هيرودوت الدائبة للوصول إلى القانون والتعليل فى التأريخ لأى حدث، ص١٧٦_١٧٧.

(٤٦) د. أحمد صبحى، نفس المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٤٧) جورج سارتون، نفس المرجع السابق، ص ١٦٦. وهامش ٦٩، ص٢٠٥.

(٤٨) هرنشو: نفس المرجع السابق، ص ١٩.

وأقرأ لمحة عن حياته فى :

Lempriere's Classical Dictionary of Proper Names mentioned in Ancient Authours, Rouledge & Kegan Paul LTD, London and Boston 1972,P.628-629.

وأيضا فى: جورج سارتون: نفس المرجع السابق، جـ٢، ص١٧٢.

وكذلك فى: ول ديورانت: قصة الحضارة _ الجز الثانى من المجلد الثانى (حياة اليونان)، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م، ص٣٣١.

(٤٩) ارنولد توينبى: نفس المرجع السابق، ص ٣٨.

وأنظر كذلك: Finley(M.F.):An Introduction to Eng. Trans. of Thucydides History of the Peloponnessian War,Translated by Rex warner,PenguinBooks, London 1985,p.10.

(٥٠) Osborn (E.B.): Op.cit.,P.37.

(٥١) Finley (M.F.) : Op.cit,P.14.

(٥٢) Thucydides : History of the Peloponnessian War, B.I-I. Eng.Trans.P.35

(٥٣) Finley (M.F.): Op.cit,P.20

(٥٤) أنظر : جورج سارتون، نفس المرجع السابق، ص١٧٧، ص١٨٣.

وأنظر كذلك :د. أحمد صبحى، فى فلسفة الحضارة ، ص١٢٤.

(٥٥) Osborn (E.B.): Op. cit.,P.38.

(٥٦) جورج سارتون: نفس المرجع السابق، ص ١٧٧.

وأنظر أيضا: كولنجوود : نفس المرجع السابق، ص ٥٩.

(٥٧) جورج سارتون: نفس المرجع ، ص ١٨٢.

(٥٨) Thucydides: Op.cit.,(B.I-22),Eng. Trans.P.47-48.

(٥٩) Ibid,p.48.

(٦٠) كولنجوود: فكرة التاريخ، الترجمة العربية، سبق الاشارة إليه، ص٥٧.

(٦١) نفسه.

(٦٢) نفسه.

وأنظر عرضا لبعض الخرافات التى وردت فى كتاب هيرودوت فى:ول ديورانت: قصة الحضارة، سبق الأشارة إليها ص ٣٢٩-٣٣٠.

وقد قال ديورانت عن ثيوكيديدس" لسنا نجد فى كتابه شيئا من القصص الخرافية أو الأساطير أو المعجزات وهو يقبل قصص البطولة ولكنه يحاول تفسيرها بالاستناد إلى العلل الطبيعية ويغفل ذكر الآلهة اغفالا تاما ولا يجعل لها موضعا فى كتابه ويسخر من النبوءات والوحى ومن غموضها الذى يجعلها فى مأمن من الخطأ ويندد فى سخرية بغباء من يؤمن بها. كما أنه لا يعترف بوجود قوة عليا مدبرة مرشدة أو خطة الهية موضوعة محكمة ..... وهو ينظر إلى الحياة والتاريخ نظرته إلى مسرحية دنيئة ونبيلة معا. يرفع من شأنها بين الفينة والفينة عظماء الرجال ولكنها تهوى على الدوام إلى وهدة الخرافة والحرب. وفى شخصه يحسم النزاع بين الدين والفلسفة وتنتصر الفلسفة".(نفس المرجع، ص ٣٣٥-٣٣٦).

(٦٣) كولنجوود : نفس المرجع السابق، ص ٥٨.

(٦٤) أنظر: Herodotus : Op. cit.(B.I), Eng. trans,P.13ff.

وأنظر كذلك : Thucydides: Op. cit.,(BI-I) Eng.trans.P.45.

(٦٥) كولنجوود، نفس المرجع، ص ٥٨.

(٦٦) نفسه، ص ٥٩.

(٦٧) نفسه.

(٦٨) نفسه، فى ٨٠.

(٦٩) نستخدم هنا اصطلاحات هيجل الذى ميز بين ثلاثة أنواع من طرق الكتابة التاريخية؛ أولها: التاريخ الأصلى وهو الذى يهتم بوصف الأعمال والأحداث وأحوال المجتمع وقد ضرب هيجل المثال على ذلك النوع من المؤرخين بهيرودوت وثيوكيديدس تحديدا (انظر: ج.ف.ف. هيجل: محاضرات فى فلسفة التاريخ ـ الجزء الأول (العقل فى التاريخ)، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام، مراجعة د. فؤاد زكريا، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٤)، ص ٥٨-٥٩)

وثانيها: التاريخ النظرى ويعرض فيه المؤرخ التاريخ بطريقة لاتحصر نفسها فى حدود العصر الذى ترويه بل تتجاوز روح العصر الحاضر. ويندرج تحت هذا النوع من التاريخ أربعة أصناف؛ منها ما يسميه هيجل التاريخ الكلى الذى يكون مهمة المؤرخ فيه هى الإقبال على معالجة المادة التاريخية بروحه الخاصة التى تتميز عن المضمون الذى يعالجه، وقد ضرب مثالا على ذلك الصنف بالمؤرخ الرومانى الشهير تيتوس ليفيوس Titus Livius أو ليفى Livy الذى عاش فيما بين عامى ٥٩ قبل الميلاد و١٧ميلاديه، وكذلك ديدور الصقلى المؤرخ اليونانى الذى عاش فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد. ومنها التاريخ البراجماتى أو العملى الذى يدرس فيه المؤرخ الماضى ويشغل نفسه بعالم بعيد عنه ويحاول جعله حاضرا أمام الذهن ويستخلص منه التعاليم الأخلاقية الداعية إلى الفضيلة.(هيجل: نفس المرجع، ص ص ٦٤-٦٨).

ورغم أن هيجل لم يقدم مثالا على هذا الصنف من المؤرخين من اليونانيين أو الرومانيين إلا أنه يمكن أن نضع بوليبيوس الذى عاش فيما بين عامي ٢٠١و١٢٠ قبل الميلاد كمثال واضح عليهم؛ فقد كان يقيس التاريخ- كما يقول كولنجوود- بنفس المفاهيم والمقاييس التى طبقها الأبيقوريون والرواقيون فى نطاق علم الأخلاق.

(أنظر: كولنجوود: نفس المرجع السابق، ص ٨٤. وانظر لمحة عن حياة بوليبيوس وجهوده فى التاريخ فى: Lempriers's Classical: Dictionary,P.50-505.

ومنها كذلك التاريخ النقدى أو ما يمكن تسميته تاريخ التاريخ حيث يقوم المؤرخ فيه بنقد الروايات التاريخية ودراسة مدى حقيقتها ومعقوليتها.

ومنها أيضا ذلك النوع الذى يمزج فيه المؤرخ بين الطابع الجزئى المتمثل فى التأريخ لموضوع من الموضوعات مثل تاريخ الفن أو القانون أو الدين الخ. وبين الموقف النظرى المجرد الذى يتخذه هو نفسه من الموضوع الذى يؤرخ له.(أنظر: هيجل، نفس المرجع، ص ٦٩-٧١) ويمكن أن ننظر إلى محاورات أفلاطون ومؤلفات أرسطو فى تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم على أنها تمثل هذا النوع الأخير من التاريخ الذى يمكن أن نطلق علي،،ه من وجهة نظرنا اسم التاريخ النوعى.

أما النوع الثالث من التاريخ فهو التاريخ الفلسفى أو مايعرف بفلسفة التاريخ وهو معنى عند هيجل بدراسة التاريخ من خلال الفكر، والفكرة

الأساسية التى تجلبها الفلسفة معها وهى تدرس التـاريخ فـى نظـره هـى أن العقل يسيطر علـى العـالم وأن تـاريخ العـالم يتمثـل أمامنـا بوصفـه مسارا عقليا" (هيجل، نفس المرجع السابق، ص ٧١-٧٢)

(٧٠) أنظر بعض التفاصيل عن اكسينوفون ودوره فى التاريخ اليونانى

فى: Osborn: Op.cit.,pp.43-46

وأيضا فى: Lempriereis Classical Dictionary.P668-669.

(٧١) أنظر Aristotle:Metaphysics.B.IEng.trans.by W.D. Ross, in: "Great Books of the Western World", Encyclopaedia Britannica inc,.U.S.A.1952,PP.499-511.

(٧٢) أنظر: Guthrie (W.k.); Aristotle as Historian, in "Studies in Presocratic Philosophy," Vol.I, edited by David J.Furley and R. E.Allen, Routledge & Kegan Paul, london,1970.

ويمكنك كذلك مراجعة الفصـول الأولى من كتـابات أرسطـو فى العلوم المختلفة

(٧٣) كولنجوود، نفس المرجع السابق، ص ٦٦.

(٧٤) أنظر: Plato: The Meno(97a-b-c),Eng.Trans.by W.K.C. Guthrie,Penguin Books, London 1977,P.152-153.

وأنظر أيضا: أفلاطون، ثياتيتوس، ترجمة د. أميره حلمى مطر، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م،ص١١٤.

(٧٥) أنظر: Aristotle: Metaphysics(B.I-Ch.I-980(20-30),Eng.Trans., P.499.

وأنظر أيضا: د. مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٥م،ص٣٩-٦٦.

وكذلك: د. مصطفى النشار: نظرية العلم الأرسطية، دار المعـارف، القاهرة ١٩٩٥م،ص١٣٧ وما بعدها.

(٧٦) أرسطوطاليس: التحليلات الأولى (م٢- ف٢٣-٦٨ف(١٤-١٥))، الترجمة العربية القديمة تحقيق د. عبدالرحمن بدوى فى "منطق أرسطو"- الجزء الأول، دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٤٨م،ص٢٩٤.

(٧٧) Aristotle:Op.cit.(B.I-ch.3-983b-984a) Eng. Trans. P.501 - 502.

(٧٨) Ibid., ch.4-5-6,985-987,Eng.Trans.P.502-505

وأنظر أيضا: Ibid.,B.V-ch.2,1013,p.533-534.

(٧٩) أنظر: د. مصطفى النشار، نظرية العلم الأرسطية، الفصل الرابع عن العلية ودورها في البحث العلمي، ص ١٩٠ ومابعدها.

(٨٠) أنظر: أرسطو: كتاب السياسة، ترجمة أحمد لطفى السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩م، الكتاب الثامن ص٣٨٦ وما بعدها.

(٨١) آلبان ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص٦١.

(٨٢) أنظر: جورج سارتون، نفس المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٣٥.

(٨٣) حنا آرنت، نفس المرجع السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٨٤) أنظر: Herodotus: Op.cit., B.5-33,Eng.trans.P.322

وأيضا: B.5 - 92,P. 345- 346 & B.8 - 53,P.515 & B.9-109-110,P.592-593.

وأنظر ترجمة لهذه الفقرات وغيرها في تويبي، الفكر التاريخى عند الإغريق، الترجمة العربية ص ١٧٦-١٧٧.

(٨٥) بوليبيوس: تاريخ العالم: ك.(٣)- ف.(٣٢).

نقلا عن : توينبى، نفس المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٨٦) نفسه.

(٨٧) نفسه.

(٨٨) أنظر، هيجل، محاضرات فى فلسفة التاريخ، سبق الإشارة إليه، الترجمة العربية، فى ٧٢.

وانظر أيضا: هربرت ماركيوز: العقل والثورة، ترجمة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٢١٤.

(٨٩) بوليبيوس: تاريخ العالم، ك.(١١) - ف. (١٩). نقلا عن : توينبى، نفس المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٩٠) بوليبيوس: نفسه، ك ٢٢ - ف ١٨.

نقلاًعن: نفس المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

(٩١) د. أحمد صبحى: فى فلسفة التاريخ، ص ١٢٤-١٢٥.

(٩٢) نفسة، ص ١٢٦-١٢٨.

(٩٣) راجع نصوص انكسيمندر عن كيفية التطور ونشأة الإنسان من خلال ماروا‌ه عنه ايبوليتوس وأيتيوس وفلوطرخس فى :د.أحمد فؤاد الأهوانى: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٤م، ص ٦٢-٦٣.

وراجع كذلك نصوص هيراقليطس التى يتحدث فيها عن التغير وصراع الاضداد والتطور الذى يترتب على ذلك؛ فهو يقول فى شذره(٨٦) "حين يولدون يرغبون فى الحياة وفى لقاء مصيرهم، ويخلفون وراءهم أبناء يلقون مصيرهم بدورهم" ويقول فى شذرة (٦٠)" لم يكن الناس ليعرفوا اسم العدالة لو لم توجد هذه الأشياء (أى الأضداد)".

(ترجمة د. أحمد فؤاد الأهوانى فى نفس المرجع السابق، ص ١٠٩، ١٠٨ على التوالى)

(٩٤) تختلف الروايات اختلافا كبيرا حول حياة هزيود. وبعضها يعود به إلى ايام هوميروس. فقد عاش فى نظرهم حوالى عام ٩٠٠ قبل الميلاد.

(أنظر: Lempriere's classical Dictionary, P. 279.)

(٩٥) هزيود: الأعمال والأيام ١٠٩-٢٠١.

نقلا عن توينبى : نفس المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦١.

(٩٦) أنظر: Plato: The Statesman (268e-274d),Eng.trans.by J.b. Skemp, Routledge & Kegan Paul, London 1961,P.144,P.144-154.

(٩٧) Plato :The Laws (B.III-678), Translated into English by B.Jowett M.A., The Dialogues of Plato Vol. 5, third ed., Oxford University Press, London 1931,P.57.

(٩٨) أنظر: Ibid: (B.III679-683) Eng. Trans.PP.58-63

(٩٩) أنظر: أرسطو: كتاب السياسة (ك٤-ك٥)، الترجمة العربية لأحمد لطفى السيد، ص ص ٢٣٦-٣١٠.

١٠٠) أنظر: ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص ٥٦-٥٧

١٠١) نفسه، ص ٥٧.

١٠٢) أنظر: نفس المرجع السابق ص ٥٧-٥٨.

وأنظر كذلك: Thucydides:Op.cit.(B.13-9), Eng.trans.pp.36-40.

حيث يشرح ثيوكيديدس أصل هيلاس Hellas التى يرجح أنها لم تكن موجودة قبل عصر هيللن Hellen ابن ديو كاليون، كما يوضح جهود الأفراد والشعوب الذين وطدوا أركان الهللينية فى هذه المنطقة ومنهم مينوس أول من بنى أسطولا سيطر به على معظم مايسمى بالبحر الهللينى. وكيف أن الآثينيين كانوا أول من تخلى عن حمل السلاح وأصبحت حياتهم اكثر رقة وتهذيبا .... الخ.

١٠٣) بوليبيوس: نفس المصدر ك ٨ ف ٢.

نقلا عن توينبى، نفس المرجع السابق، ص ١٧٥.

١٠٤) ج.ب. بيرى: فكرة التقدم - بحث فى نشأتها وتطورها، ترجمة عارف حديفه منشورات وزارة الثقافة بسوريا دمشق ١٩٨٨م، ص٣٦.

١٠٥) نفسه،٣٧.

١٠٦) أنظر لمحة عن حياته فى Kerferd(G.B.): The Sophistic Movement, Cambridge University Press, London 1981,PP. 42-44.

وأيضا فى : Zeller(E.): Outlines of the History of Greek Philosophy, translated by L.R. Palmer, Thirteen-ed. Dover Publication Inc., new york 1980,P.82-83.

(١٠٧) افلاطون: بروتاجوراس (٣٢٢)، الترجمة العربية لمحمد كمال الدين على يوسف مراجعة د. محمد صقر خفاجه، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٥٧.

(١٠٨) نفسه (٣٢٢)، الترجمة العربية ص ٥٧-٥٨.

(١٠٩) نفسه (٣٢٣)، الترجمة العربية ص ٥٩.

وأنظر تحليلا لأهمية هذه النظرية حول الفضيلة في نظرية الحياة الإجتماعية عند بروتاجوراس فى:

Kerferd,Op.cit., P.144-145

(١١٠) أفلاطون، نفس المصدر (٣٢٢)، ص ٥٨.

(١١١) Kerferd,Op.cit.,P.142.

(١١٢) Ibid,P.141

(١١٣) هذه الأقوال لبروتاجواس نقلا عن: د. أحمد فؤاد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، ص ٢٧٣ وهامشها.

(١١٤) أنظر: Kerferd: Op.cit,P.147.

وأنظر عرضا لهذه النظرية فى العصر الحديث عند قولتير وكوندرسيه فى : د.أحمد صبحى، فى فلسفة التاريخ، ص ص ١٨٠- ١٩١.

(١١٥) بيرى: فكرة التقدم، ص٣٨.

(١١٦) نفسه.

(١١٧) نفسه، ص ٣٩.

(١١٨) انظر عرضا متكاملا للمذهب الذرى فى كتاب:

Bailey (C.): The Greek Atomists and Epicurus, Oxford, At the Clarendon press 1928.

حيث عرض للنظرية الذرية عند لوقيبوس وديمقريطس فى PP.64-155 ولنظرية أبيقور الذرية فى PP.217-283

(١١٩) بيرى: نفس المرجع السابق، ص ٤٤.

(١٢٠) نفسه، ص ٤٤-٤٥.

(١٢١) نفسه، ص ٤٧.

(١٢٢) نفسه ، ص ٤٥.

(١٢٣) أنظر: د. مصطفى النشار: الأبيقورية فلسفة للحياة، بحث نشر فى الكتاب السنوى الثانى للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، القاهرة ١٩٩٥م، ص ص ٤٥-٧٤.

(١٢٤) هذا النص نقلا عن: بيرى، نفس المرجع السابق، ص ٤٣.

(١٢٥) نقلا عن : ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص١٤٥-١٤٦.

(١٢٦) بيرى : نفس المرجع السابق، ص ٤٣.

(١٢٧) نفسه ، ص ١٩٨-١٩٩.

(١٢٨) نفسه، ص ٤٤.

(١٢٩) أن المهابهاراتا ملحمة حماسية تقبلت فى صميمها معتقدات وتعاليم القبائل الهندية المتعددة واهتمت أن تجعل من ذاتها عملا يجذب شعب الهند كله. وكذلك جمعت بين طياتها خليطا من التاريخ والميثولوجيا، من السياسة والقانون، من الفلسفة واللاهوت.

الخ.(رادا كرشـنا ود. شـارلزمور: الفكـر الفلسـفى الهنـدى، ترجمـة نـدرة اليـازجى، دار اليقظـة العربيـة للتـأليف والترجمـة والنشـر، بيروت ١٩٦٧م، ص ١٥١-١٥٢)

ويرجع تاريخ هذه الملحمـة ومثيلاتهـا إلـى مايسـمى فـى الهنـد بعصـر الملاحم، وهو العصـر الذى يؤرخ مـن خلالـه للفـترة الثانيـة من تطور الفكر الفلسفى الهندى بين عامى ٦٠٠ أو ٥٠٠ ق.م إلـى عام ٢٠٠ ق .م (نفس المرجع السابق، ص ٩).

(١٣٠) رادا كرشنا وشارلزمور: نفس المرجع، ص ٢٤٢.

(١٣١) نفسه.

(١٣٢) آلبان ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص ٣٤.

(١٣٣) نفسه، ص٥٥.

(١٣٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : فجر الفلسفة اليونانية، ص ٥٧.

(١٣٥) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، الطبعـة الثالثـة، مطبعـة لجنـة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣م،ص١٥

(١٣٦) أنظـر: هيراقليطس: فـى الكـل Peri tu Pantos، الترجمـة العربيـة للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، نفس المرجع السابق، شـذره ٢٠، ص ١٠٤-١٠٥.

(١٣٧) أنظر: هيراقلطيس، نفس المصدر، شذره ٦٧، ص١٠٨.

(١٣٨) نفسه، شذره ٨٦، ص ١٠٩.

(١٣٩) نفسه، شذره ٦٩، ص ١٠٨.

(١٤٠) نفسه، شذره ٧٠، ص ١٠٨.

وأنظر ما يقوله يوسف كرم فى نفس كتابه السابق الاشارة إليه عن إيمان هيراقليطس بالدور التام أو السنة الكبرى إلى غير نهاية بموجب قانون ذاتى ضرورى هو اللوجوس.(ص١٨).

(١٤١) نقلا عن د. أحمد فؤاد الأهوانى، نفس المرجع السابق، فقرة ٣- ص ١٣١.

(١٤٢) أنبادوقليس: فى الطبيعة، الترجمة العربية لأحمد فؤاد الأهوانى فى نفس المرجع السابق (١٦)، ص ١٦٧.

(١٤٣) نفسه،(١٧)، ص ١٦٧.

(١٤٤) نفسه، (١٧)،ص١٦٨.

(١٤٥) بيرى، فكرة التقدم، ص ٤١.

(١٤٦) نفسه، ص ٤١-٤٢.

(١٤٧) أنظر: توينبى، الفكر التاريخى عند الإغريق، ص ١٢٥.

وراجع: Herodotus:Op.cit,B.7,44-45, Eng.Trans.P.433.

وتوجد ترجمة عربيه لهاتين الفقرتين فى توينبى، نفس المرجع، ص ١٢٥-١٢٦.

(١٤٨) جورج سارتون، نفس المرجع السابق، ص ١٨٢.

ويمكنك مراجعة Thucydides: op. cit. B.1-8,22: Eng. trans.p.39,p.47-48.

وهى نفس المواضع التى اشار إليها سارتون فى تقريره ذلك.

(١٤٩) أنظر: ارنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، الجزء الثانى، ترجمة لويس اسكندر ومراجعة د.محمد سليم سالم مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦م، هامش ص. ٢٣٣.

(١٥٠) أنظر plato: The Statesman(27oa-274d), Eng,trans.PP.146-154.

(١٥١) أنظر Plato: Timaeus(21-26), translated into English by Desmond lee,Penguin Books, London 1971,PP.33-39.

وأنظر ترجمة عربية لبعض هذه المواضع من محاورة طيماوس فى: توينبى،نفس المرجع السابق، ص١٦٨-١٧٠.

(١٥٢) أنظر: Plato:The laws(B.III-688),Eng,trans.,P.69

(١٥٣) أفلاطون: الجمهورية(ك.٨-٥٤٦)، الترجمة العربية للدكتور فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م. ص٤٥٩.

(١٥٤) نفسه.

(١٥٥) د. فؤاد زكريا، الدراسة التى قدم بها لترجمته للجمورية، ص١١٣.

(١٥٦) Carr (E.H.): Op.cit., P.31.

(١٥٧) اونست باركر؛ نفس المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(١٥٨) نفسه، هامش نفس الصفحة.

(١٥٩) أنظر انتقادات د.امام عبدالفتاح لهيجل فى تقديمه لترجمته العربية لمحاضرات فى فلسفة التاريخ، سبق الأشارة إليه، ص ٤٦-٤٨.

(١٦٠) ويدجرى:نفس المرجع السابق، ص ٦٣.

(١٦١) نقلا عن نفس المرجع السابق، ص ٦٣.

(١٦٢) نقلا عن: يوسف كرم، نفس المرجع السابق، ص٢٢٨.

(١٦٣) Zeller:Op.cit., P.217.

وانظر أيضا: د. عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م،ص١٦٣.

(١٦٤) Zeller:Op.cit.,P.215

(١٦٥) د. عثمان أمين ، نفس المرجع السابق، ص ١٦٣.

(١٦٦) يوسف كرم، نفس المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(١٦٧) أنظر: Epictetus:The Enchiridion(xv11-Regnery Gateway inc.south Bend, Indiana,U.s.A.1956,PP.178-180
Marcus Aurelius: The Meditations (B.x1-6),EnG.Trans.by George long,P.141-142 & (B.xII-36)P.164-165.

(١٦٨) أنظر لمحة عن حياته وفلسفته ودوره في الفلسفة الرواقية في مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب "التأملات أو الأفكار" التي قام بها جون جاكسون في:
The Thoughts of Marcus Aurelius Antoninus, translated by John Jackson, Oxford Unversity press, London 1928,PP. IX-XX.

(١٦٩) ويدجري: نفس المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

(١٧٠) نفسه، ص ٧٠.

وراجع أيضا: Marcus Aurelius: Op.cit.,(B.IV-36-37), Eng Trans.,P.40.

(١٧١) Marcus Aurelius: Op.cit., B.IV-46,P.42.

(١٧٣) Ibid. , B.IV-32,p.39.

(١٧٤) نقلا عن ويدجري، نفس المرجع السابق، ص ٧٠،

وراجع Marcus Aurelius: Op.cit., B.IV-33,P.39

(١٧٥) نقلا عن ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص ٧٠.

وراجع: Ibid., B.II-14, Eng. trans.,P.17

(١٧٦) Ibid.,B.IV- 43,P.41

(١٧٧) Ibid.,B.IV- 44,P.42

(١٧٨) Ibid.,B.IV- 15,P.34.

(١٧٩) Ibid.,B.IV- 2,p.30.

(١٨٠) Ibid.,B.IV- 23,P.36.

(١٨١) ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص ٧١.

(١٨٢) أنظر: يوسف كرم، نفس المرجع السابق، ص ٢٣١.

(١٨٣) MarcusAurelius:Op.cit.,B.V-14,Eng. trans.P.53.

وقارن نفس الموضع من ترجمة Joh Jackson P.39 سبق الأشارة إليها.

(١٨٤) أنظر: ويدجرى، نفس المرجع السابق، ص ٧١.

(١٨٥) د.أميره حلمى مطر:الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٤٠٦.

(١٨٦) Zeller: Op.cit., P.215.

(١٨٧) أرسطو طاليس: فن الشعر(١٤٥١ب-٥،٦)، ترجمه عن اليونانية د. عبد الرحمن بدوى، نشرة دار الثقافة، لبنان- بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٦.

(١٨٨) أنظر: د. مصطفى النشار: نظرية العلم الأرسطية، ص ٢٨، ص ص٣٨-٤٤.

(١٨٩) أرسطو طاليس: علم الآخلاق إلى نيقوماخوس(ك ٦-ب٢-ف٢)، الترجمة العربية لأحمد لطفى السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٢م، ص ١١٩-١٢٠.

(١٩٠) أرسطو طاليس: الطبيعة(ك١-ب١-ف٢١)، الترجمة العربية لأحمد لطفى السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(١٩١) بارتلمى سانتهلير مقدمته لكتاب "السياسة" لأرسطو، سبق الإشارة إليه، ص٤٨.

(١٩٢) بوليبيوس: تاريخ العالم (ك١٢-ف٢٥)، نقلا عن : توينبى، نفس المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(١٩٣) أنظر: نفسه(ك٢٢-ف١٨)، نقلا عن نفس المرجع، ص ١٨٥-١٨٦.

وأنظر أيضا: نفسه(ك ٢٨-ف٥،٦)، عن نفس المرجع ص ٢٢٤.

وكذلك: نفسه(ك٣٦-ف١٣)، عن نفس المرجع ص ٢٢٦.

(١٩٤) أنظر: نفس المصدر(ك٣-ف٣٢)، عن نفس المرجع،ص١٧٢.

(١٩٥) أنظر نفس المصدر(ك٥-ف٣١،٣٢)، عن نفس المرجع، ص ١٧٣-١٧٤.

(١٩٦) أنظر لمحة عن حياته فى:

Lempriere's Classical Dicotionary,p.21 حيث يعتبره الكاتب من المؤرخين الثقات الذين يمتلكون حسا تاريخيا نقديا.

(١٩٧) ديونسيوس الهاليكارناسى: الرسائل الأدبية الثلاث، تحقيق ريس روبرتس W.Rhys Roberts، كمبردج، مطبوعات الجامعة ١٩٠١، الفصل ٦،٢. نقلا عن توينبى: نفس المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(١٩٨) نفس المصدر، نقلا عن نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٥.

(١٩٩) نفس المصدر، نقلا عن نفس المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٢٠٠) نفس المصدر، نقلاً عن نفس المرجع السابق، ص٢٣٧.

(٢٠١) نفس المصدر، نقلا عن نفس المرجع، ص ٢٣٨.

(٢٠٢) نفسه.

اهم المصادر والمراجع

أ] المصادر والمراجع العربية:

١- د. أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٥م.

٢- د. أحمد صبحي: في فلسفة الحضارة - الحضارة الإغريقية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، بدون تاريخ.

٣- د.أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٤م.

٤- أرسطو طاليس: التحليلات الأولى، الترجمة العربية القديمة تحقيق د.عبد الرحمن بدوى في "منطق أرسطو"، الجزء الأول، دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٤٨م.

٥- ارسطو طاليس: السياسة، ترجمة أحمد لطفى السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩م.

٦- ارسطو طاليس: فن الشعر، ترجمه عن اليونانية د.عبد الرحمن بدوى، دار الثقافة، لبنان - بيروت، بدون تاريخ.

٧- أرسطو طاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفى السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤م.

٨-أرسطو طاليس: علم الطبيعة، الترجمة العربية لأحمد لطفى السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥م.

٩- ارنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، الجزء الثانى، ترجمة لويس اسكندر ومراجعة د. محمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦م.

١٠- ارنولد توينبى: الفكر التاريخى عند الإغريق، ترجمة لمعى المطيعى، مراجعة د. محمد صقر خفاجة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦م.

١١- أفلاطون: ايون أو عن الإلياذة، ترجمة د. محمد صقر خفاجة ود.سهير القلماوى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦م.

١٢- أفلاطون:بروتاجوراس، ترجمة محمد كمال الدين على يوسف، مراجعة د. محمد صقر خفاجة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

١٣- أفلاطون: ثياتيتوس أو عن العلم، ترجمة د.أميره حلمى مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

١٤- أفلاطون: الجمهورية، ترجمة ودراسة د.فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.

١٥- البان ويدجرى: التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م.

١٦- أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، دارالنهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧م.

١٧- برستيد(ج.هـ.): فجرالضمير، ترجمة د.سليم حسن ، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

١٨- بيرى(ج.ب): فكرة التقدم- بحث فى نشأتها وتطورها، ترجمة عارف حديفه، منشورات وزارة الثقافة، سوريا- دمشق ١٩٨٨م.

١٩- جورج سارتون : تاريخ العلم- الجزء الثانى، ترجمة لفيف من العلماء دار المعارف، القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.

٢٠- حسن شحاته سعفان: كونفوشيوس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٢١- حنة آرنت : بين الماضى والمستقبل، ترجمة عبد الرحمن بشناق، مراجعة د. زكريا ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٤م.

٢٢- رادا كرشنا ود. شارلزمور: الفكر الفلسفى الهندى، ترجمة ندرةاليازجى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ١٩٦٧م.

٢٣- رأفت عبد الحميد: ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمنى، بحث نشر بمجلة كلية الآداب(العدد الثانى)، منشورات جامعة صنعاء باليمن، مارس١٩٨١م.

٢٤- د.عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول(مصر والعراق)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م.

٢٥- د.عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة١٩٧١م.

٢٦- فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلي ومراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م.

٢٧- كولنجوود(ر.ج): فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٨- لانجلوا وسينوبوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة د.عبدالرحمن بدوى ضمن كتابة-"النقد التاريخي"، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠م.

٢٩- لاوتسى: كتاب التاو(الطريق والفضيلة)، ترجمة ودراسة هادى العلوى، دار الكنور الأدبية، بيروت - لبنان ١٩٩٥م.

٣٠- د. محمد جمال الدين مختار: مصادر التاريخ الفرعونى، نشر ضمن كتاب"تاريخ الحضاره المصرية - العصر الفرعونى"، تأليف نخبة من العلماء - المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

٣١- د. محمد صقر خفاجة: هوميروس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٢- د. مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.

٣٣- د. مصطفى النشار: نظرية العلم الأرسطية- دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو، دار المعارف، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٣٤- د. مصطفى النشار: الأبيقورية فلسفة للحياة، بحث منشور بالكتاب السنوى الثانى للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، القاهرة ١٩٩٥.

٣٥- هربرت ماركيوز: العقل والثورة، ترجمة د.فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩م.

٣٦- هرنشو: علم التاريخ، ترجمة د. عبدالحميد العبادى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤م.

٣٧- هوميروس: الإلياذه، ترجمة عنبرة سلام الخالدى، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٣٨- هيجل(ج.ف.ف): محاضرات فى فلسفة التاريخ-الجزء الأول(العقل فى التاريخ)، ترجمة د.امام عبدالفتاح امام ومراجعة د.فؤاد زكريا، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٤م.

٣٩- هيرودوت: هيرودوت فى مصر، نقله عن اليونانية وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٦م.

٤٠- ول ديورانت: قصة الحضارة- الجزء الثانى من المجلد الثانى(حياة اليونان)، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

٤١- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٥٤م.

ب] المصادر والمراجع الأجنبية:

1-Aristotle: Metaphysics, translated into English by W.D Ross, in"Great Books of the Western world",Encyclop aedia Britannica inc., U.S.A.1955.

2-Bailey(C.):The Greek Atomists And Epicurus, Oxford, at the clarendon press, 1928.

3- Carr (E.H.): What is History,Penguin Books,New York 1980.

4-Ch'uchai& Winberg chai: Confuicanism, Barran's Educational series inc. Woodbury,New York 1973.

5-Epictetus:The Enchiridion, Translated into English by George Long, Regnery-Gateway,inc.,South Bend, Indiana U. S.A.1956.

6-Finley(M.F.):An Introduction of English Translation to Thucydides history of the Peloponnessian war,Translated by Rex Warner, Penguin Books,London 1985.

7-Guthrie (W.K.): Aristotle as Historian,in"Studies in Pre Socratic Philosophy", Vol.1 Edited by David J. Furley and R.E Allen, Rou tledge & Kegan Paul, London 1970.

8-Herodotus: The Histories,translated into English by Aubrey de Selincourt, Penguin Books,U.S.A1963.

9-Kerferd(G.B.): The Sophistic Movement,Cambridge University Press, London 1981.

10-Lemprierie's Classical Dictionary of Proper Names mentioned in Ancient Authours, Rout ledge & Kegan Paul LTD, London & Boston 1972.

11-Marcus Aurelius: The Meditations,translated into English by George Long,Regnery – Gateway inc., south Bend,U.S.A., Indiana 1956.

12-Osborn (E.B.) : Our debt to Greece and Rome,Hordder and Stoughton, London, Without date.

13-Plato : The statesman,translaated into English by J.B.Skemp, Routledge & Kegan Paul, London 1961.

14-Plato : The Laws, translated into English by B.Jowett M.A., The Dialogues of Plato Vol.5, Third ed., Oxford University Press, London 1931.

15-Plato : Timaeus, Translated itno English by Desmond Lee, Penguin Books, London 1971.

16-Plato : The Meno, translated into English by W.K.C.Guthrie, Penguin Books, London 1977.

17-Raymond Dawson: Confucius,Oxford university Press, London 1981. P

18-Thucydides: History of the Peloponnesian War, translated into English by Rex warner, Penguin Books, London 1985.

19- Zeller (E.) : Outlines of the History of Greek Philosophy, translated into English by L.R.Plamer,thirteen ed., Dover Publication Inc.,New York 1980.



الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	٧
تصدير	٩
تمهيد:	٢٣
تساؤلات تطرح موضوع البحث واشكاليته	٢٣
أولا:	
نشأة الفكر التاريخى فى الشرق القديم	٢٥
ثانياً:	
هوميروس وبداية الوعى التاريخى عند اليونان	٣١
ثالثاً:	
هيرودوت وثيوكيديدس وتأسيس علم التاريخ	٣٥
رابعاً:	
طبيعة التاريخ وطرق التاريخية	٤٧
خامساً:	
مقولات الوعى التاريخى عند اليونان	٥٤
١) العلية	٥٥
٢) التغير والتطور	٦١
سادساً:	
نظريات التفسير التاريخى	٧٠

كتب أخرى

للدكتور مصطفى النشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الإسلامية والغربية:

- صدرت طبعته الأولى عن دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٨٤م

- صدرت طبعته الثانية عن مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٨٨م.

- صدرت طبعته الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت طبعته الأولى عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥م

- صدرت طبعته الثانية عن نفس الدار ١٩٨٧م

- صدرت الطبعة الثالثة عن نفس الدار ١٩٩٥م.

(٣) نظرية العلم الأرسطية - دارسة فى منطق المعرفة العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٦م.

- وصدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار بالقاهرة ١٩٩٥م.

(٤) فلاسفة أيقظوا العالم:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٨٨م.

- صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الجامعي بالعين، بدولة الامارات العربية المتحدة ١٩٩٠م.

- وصدرت الطبعة الثالثة عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٥) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات في الفلسفة المصرية واليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة ١٩٩٢م.

- وصدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٦) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفي باللغة العربية :

- صدرت الطبعة الأولى عن مكتبة مدبولي بالقاهرة عام ١٩٩٣م.

٧) مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

٩) التفكير الفلسفي للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة - دار الغرير للطباعة والنشر - دبى ١٩٩٥م.

١٠) التفكير المنطقى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبى عام ١٩٩٥م.

١١) مكانة المرأة فى الفلسفة الأفلاطونية - قراءة فى محاورتى "الجمهورية" و"القوانين":

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م.

(١٢) مدخل جديد إلى الفلسفة:

- تحت الطبع

(١٣) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الأول) من طـاليس حتى أفلاطون.

- تحت الطبع

(١٤) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الثانى) من أرسطو حتى ماركوس أوريللوس:

- تحت الطبع.

(١٥) تطور الفكر السياسى القديم من صولون حتى ابن خلدون:

- تحت الطبع

(١٦) مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان:

- تحت الطبع



هــذا الكتـــاب

مـا هـو التـاريخ ومتـى بـدأ؟ ومــن الــذى بـدأه؟ ومتــى أدرك الإنســان أهميـــة التـــاريخ ومنفعتـــه؟ ومتـــى تشــكل الوعـــى بمقـــولات التــاريخ؟ ومــن أول مــن حــاول اســتخلاصها؟ مــن هــو المــؤرخ ومــن هــو فيلســوف التــاريخ؟ وهــل يعـد التـــاريخ علمـــاً ككـــل العلـــوم؟ ومـا الفـرق بيـن التـاريخ وفلسـفة التـاريخ؟!

ان مؤلــف هذا الكتــاب الدكتــور مصطفـــى النشـــار وهـــو واحــد من المتخصصين فـى تـاريخ الفلسـفة القديمـة ومــن المهتميــن [illegible] التـــاريخ معنـــى بطـــرح هـــذه الأســـئلة علـــى الحضـــارات الق[illegible] وبالـذات الحضـارة اليونـانيـــة.

وقـد أجـاب علـى هذه الأسئلة مـن خـلال قـراءة جديـدة لنـ[illegible] المؤرخـين والفلاسـفة اليونان بأسـلوب سلس جذاب يزيـل الص[illegible] التى قـد تواجـه القـارىء غير المتخصص فى الفلسفة أو فى التاريخ.

ولاشــك أن هـــذا الكتـــاب بحســـب خصوصيـــة موضوعـــه ومكانـــة كاتبـــه يســاهم فـــى إعـــادة بنــاء الوعـــى التـــاريخى لأبنـــاء أمتنـــا فـى عصـر نحـن أحـوج مـا نكـون فيـــه إلـى وعـــى بالتـــاريخ وبجـــذور المعرفـة التاريخيـــة.

ولذلك فهو كتاب جدير بالقراءة.

عبده غريب